



shero4jesus@gmail.com

كتاب

تاريخ

الامة القبطية

(وكنسها)

تأليف السيدة أ. ل. بشر الانكليزية

المجلد الاول

« ثمن جميع المجلدات اربعون غر شاصاغاً »

(طبع على نفقة صاحب جريدة مصر)

سنة ١٩٠٠ افرنجية الموافقة سنة ١٩٢٦

طبع بطبعة مصر بالذبح

مقدمة المؤلفة

بعض

ان الغرض الذي لاجله وضعت هذا الكتاب النالى هو الابحاث التي وصل اليها جهور المؤرخين والباحثين فيما يتعلق بحقيقة الامة المصرية القديمة او هم الافياط وهو يتدلى من تاريخ دخول الديانة المسيحية هذه البلاد لحد الان ، وتاريخ هذه الامة ينتزع من اوله لآخره باقوا مكثيرة مختلفة اعترض على البلاد وملوكها من روما واروا وعرب وكراد وشراسكة واتراك وغيرهم وهم الذين اذلوا المصريين وجعلوا بلادهم مستباحة لهم . ولقد اسفر بحث الباحثين المدققين على ان اعقاب المقربين الاصليين الباقيين الى الان هم الافياط المسيحيين لا المسلمين وهم الذين عبّرت انا بعد عذاء كثيرو شغل متواهلا بوضع هذا التاريخ الباقي عنهم ليسهل على القراء ومعرفة اصولهم واسمائهم وديانتهم بدون تعب

والذى حدى بي الى هذا العمل هو اولاً رغبتي في افاده الطلاب بتاريخ هذه الامة القديمة وثانياً اقامي مدة عشرین سنة في القطر المصري اذ قدرت ان اطوف جائلاً في اكثر القرى والكافور حيث رأيت فيها المسيحيين الافياط لازوا على عهدهم الاول من التشك بالعقائد والتقالييد القديمة المتفوقة عن الاباء الاولين - حيث تمعن من افواه البسطاء حكايات وروايات عما كان لا يصر بين من الجند والسودد مما اثبتته البحث وآكده العلم . ولهذا تعبت كثيراً في الوقوف على الازمة الصحيحة واسْتَأْفُل اني في عملي هذا ولكنه يمكن ان يكون اكبر من غيره ضبطاً وتحقاناً . فاذا قام احد عبري وكتب تاريخاً اصح من هذا فلا ريب ان معظم الفضل ينسب الي لاني السابقة في حلبة هذا الميدان وكانت قد وضعت جدولًا يحتوي امم كل ملك او وزير او امير او خليفة او سلطان او بطريرك له علاوة بغير او ملك عليهم ولكنني

﴿ ب ﴾

رأى شره لا يفيد القراء كثيراً طوله فاقتصرت على نشر جدول البطاركة فقط . ولا ريب في ان القراء مسيحيون اخهصاراً كثيراً في الاربعة القرون الاولى فيما يختص بالامور الالهوتية ولكنهم بشكر ونفي كثيراً لأنني توسيت لهم في ذكر حوادث نحو ١٩٠٠ سنة يتبعدي من حكم البطالة لحد الان واسْتَأْفُل اخي عن القاريء الاخيره التي وقفت فيها في اخبار بعض الحقائق التاريخية التي كفت اذك في صحتها لانها كثبتت باردي اناس لا اشك في تحيزهم ووجود ضلع لهم مع الذين كثيروا عنهم كتاریخ القرن السابع مثلاً الذي كتب اكثراً جماعة المسلمين عن المسلمين عن الفسهم ولكن على اي حال فان تاريخ الكنيسة القبطية اجمالاً لا يقل في الغر والمجد عن تاريخ كنيسة اخرى غربية بل قد يذري بأكثراها ، فإنه اذا كان الانكليزي مثلاً ينخر بيمينه كنيسته وقد يسمها فيجيب عليه ان يذكر انه في المسيح لا فرق بين اليهودي واليوناني ولا تبدر بين العبد والحر . كذلك لا يعرف المسيح يوناني او رومانيا انكلترا او مصر يا بل الجميع سيفدون امامه يوم الدينونة ويقدمون حساباً عاجشه ايمانهم . اداً فالعبرة ليست بالكنيسة او بالجنسية بل بالایمان والاعمال

اما تاريخ الكنيسة القبطية وحدتها فقد كتبه كثيرون من اعظم رجالها الاولين بدأ بكتاباته سويرس استفت الاشموني (يهر كر ملوى يلدري به اسيوط) في النصف الثاني من القرن العاشر وانه ميخائيل استفت طائيس لحد سنة ١٢٣٣ وقد بقيت نسخة واحدة من هذا التاريخ هي الان موجودة في باريس ولم يعن احد بتاريخها الى احدى اللغات الاوروبية وقد اخذت هذا التاريخ من عدة مونتات كثيرة يعنها كتابان فبعدان عظيمها اعتمدت عليهما في أكثر الحقائق التي لقلمها هذا ولا ي يعني الا الشفاء الكبير على حضرات مرؤوس بك عيّنك الذي ساعدى كثيراً في وضع هذا الكتاب والاشارة فول بالكتبهناه التلمذوية واقربني الذي اخذ بيدي ومهد لي سبل الصعوبات الجمة التي اعترزتني في طريق ولا زلت مدبونة له في كل عمل من الاعمال

تحريفاً بكتبة القاهرة سنة ١٨٩٧
(مسن) ١٠٦ . بنشر

فهرست المجلد الأول

	وجه	
الفصل الأول	١	سبعين القيصر الى مصر
» الثاني	١٤	سبعين المسيح
» الثالث	٢٣	كراتزة ماز مرقص
» الرابع	٣٣	اطر يرك واحد وسبعة قباصرة
» الخامس	٤٣	رواد النيل في القرن الثاني
» السادس	٥٢	المدرسة الالاهوتية الاولى
» السابع	٦٢	اور بجانوس
» الثامن	٩٦	اضطهاد دينيوس للمسيحيين
» التاسع	١٢٢	اضطهاد فالريان للمسيحيين
» العاشر	١٤٦	مار آمون ومار انطونيوس
» الحادي عشر	١٥٥	الجهاد في سبيل الحرية
» الثاني عشر	١٦٩	تاریخ الشداد
» الثالث عشر	١٩٦	جدال اريوس
» الرابع عشر	٢٠٨	البدعة والاشتقاق
» الخامس عشر	٢٣٣	غريغوريوس وجورجيوس من كيدوكية
» السادس عشر	٢٥٨	أوبية أنطاكيوس ووفاته
» السابع عشر	٢٧١	انتحار الامة المصرية
» الثامن عشر	٢٨٥	آخر أسقف آريوسي في الاسكندرية
» التاسع عشر	٣١	سقوط هيكل سيرايس
» العشرون	٣١٨	الاخوة الطوال القامة
» الحادي والعشرون	٣٣٩	سبعين التوربي

مقدمة

صاحب جريدة مصر
(الذي وقف على طبع الكتاب)

اذا قرأ القاريء تاريخ الامة القبطية التي عنت بوضعه هذه السيدة الانكليزية الفاضلة يرى انها امة لم ير لها نظير بين امم الارض في المصائب التي راكمت عليها من سيف ونار واضطهاد وعذاب وحروب داخلية وخارجية ونورات اهلية وغارات دينية وغير هذه البلايا التي لو حافت واحدة منها بأقوى امم الزمان لما بقى لها في عالم الوجود وجود. ان القاريء الفطن اذا انعم نظره في هذه النكبات التي حلت بهذه الامة الاسيفة مدة عشرين قرناً لابد وان يشفق عليها ويرثي لتضنه ضع حالمها الحاضر ويرى انها قاومت الدهر بقوه تختلف القوه المحدوده في الناموس الطيبى

ولا مراء في ان الامة القبطية الحاضرة بما عرف عنها من الذكاء الحارق والقطنة الموروثة تستفيد من تاريخها هذا فائده لا تتجدها في غيره اذ تتفق على حقيقة ما فيها باجيلى بيان وتبجيلى لها مجدها القديم الذي انها وضاع فتعمل على استرجاعه وتعرف قوه آباءها وسؤددهم فتسعى في اعادته وازاحة الستار عنه

ومعلوم للقراء ان هذا التاريخ يمتاز عن غيره من التواريخ الأخرى التي كتبت عن الأمة القبطية في انه صحيح دقيق لم يترك شاردة إلا وسجلها في باطنها فضلاً عن انه كتب بروح خالية من الغرض أو الجبن الذي اضاع أكثر الحقائق التاريخية في التواريخ الأخرى التي لها علاقة بالقرن السابع كما شهد بذلك كل من قرأ التواريخ التي ظهرت مؤخراً بشأن هذه الأمة فإنه يجدد روح الخوف من لا شيء يرف على كل صفحة من صفحاتها هذا وكما قد عزمنا على اصدار هذا التاريخ في مجلدين ولكن لطوله وكبر حجمه وتشوق الناس إلى قراءته اصدرناهذا المجلد بعد تقسيم الاصل الانكليزي إلى اربعة مجلدات سيريز الثاني والثالث والرابع منها بالتالي

عن قريب

ونحن واثقون في ان اقبال الادباء عليه يكون بوازاة اهميته وفائده هذا ولا يسعنا إلا امتداح غيرة وهمة حضررة النشيط اسكندر اندري تادرس احمد موظفي نظارة الداخلية الذي عني بترجمة هذا الكتاب بالدقة التامة واحكم تطبيق الترجمة على الاصل كما شهد بذلك النابغون في اللغة الانكليزية من ابناء أمتنا القبطية الذين راجعوا الترجمة بامعان وحكموا بصحتها نفع الله بهم وامتالهم الأمة والوطن

﴿ تادرس شنوده المنقبادي ﴾



جدول بطاركة الكنيسة القبطية

اسماء البطاركة	سني جلوسيهم	اسماء البطاركة	سني جلوسيهم
٣٥ ديميان	سنة ٦٧٠ م	١ مار مرسس	سنة ٤٥ بـ ٠ م
٣٦ انططاسيوس	٦٠٣	٢ اپيانوس	٦٢
٣٧ اندرويكتس	٦١٤	٣ ايليوس	٨٢
٣٨ بيتامين الاول	٦٢٠	٤ سردو	٩٥
٣٩ أغاثو	٦٥٩	٥ بيريوس	١٠٦
٤٠ بوحنا الثالث	٦٧٧	٦ يسطس	١١٨
٤١ اسحق	٦٨٦	٧ يومينوس	١٣٩
٤٢ سمعان الاول	٦٨٩	٨ مرثيون	١٤١
٤٣ اسكندر الثاني	٧٠٥	٩ سيلاديون	١٥٢
٤٤ قصماص الاول	٧٢٦	١٠ اغرينيوس	١٦٦
٤٥ تاوضروس	٧٢٧	١١ بولابوس	١٧٨
٤٦ مخائيل الاول	٧٤٣	١٢ دعمتيوس الاول	١٨٨
٤٧ مينا الاول	٧٦٧	١٣ هراكلاس	٢٣٢
٤٨ بوحنا الرابع	٧٧٦	١٤ دوبنتيوس	٢٤٦
٤٩ مرسس الثاني	٧٩٩	١٥ مكيموس	٢٦٤
٥٠ يعقوب	٨١٩	١٦ ثيوفانس	٢٨٢
٥١ سمعان الثاني	٨٣٦	١٧ بطرس الاول	٣٠٠
٥٢ يوسف	٨٣٧	١٨ اخيلاس	٣١١
٥٣ مخائيل الثاني	٨٤٩	١٩ اسكندر الاول	٣١٣
٥٤ قصماص الثاني	٨٥١	٢٠ انططاسيوس الاول	٣٢٦
٥٥ شنوده الاول	٨٥٩	٢١ بطرس الثاني	٣٧٣
٥٦ مخائيل الثالث	٨٦٩	٢٢ بيوتاوس الاول	٣٨٠
٥٧ غريال الاول	٩١٠	٢٣ بوفيس	٣٨٤
٥٨ قصماص الثالث	٩٢١	٢٤ كيرلس الاول	٤١٢
٥٩ مكاريوس الاول	٩٢٣	٢٥ ديسفورس الاول	٤٤٤
٦٠ طومانيوس	٩٥٣	٢٦ بيوتاوس الثاني	٤٥٧
٦١ مينا الثاني	٩٥٦	٢٧ بطرس الثالث	٤٧٧
٦٢ افرايم	٩٧٥	٢٨ انططاسيوس الثاني	٤٩٠
٦٣ فيلوتاوس	٩٧٩	٢٩ بوحنا الاول	٤٩٧
٦٤ زخارياس	١٠٠٤	٣٠ بوحنا الثاني	٥٠٧
٦٥ شنوده الثاني	١٠٢٢	٣١ ديسفورس الثاني	٥١٧
٦٦ خريستودلوس	١٠٤٧	٣٢ بيوتاوس الثالث	٥٢٠
٦٧ كيرلس الثاني	١٠٧٨	٣٣ بيودوبوس	٥٣٦
٦٨ مخائيل الرابع	١٠٩٢	٣٤ بطرس الرابع	٥٦٨

اسماء البطاركة	سفي جلوسهم	اسماء البطاركة	سفي جلوسهم				
٦٩ مكاريوس الثاني	سنة ١١٠٣ بـ م	٩٢ مخائيل السادس سنة ١٤٧٥ بـ م	٦٩ مكاريوس الثاني	سنة ١١٠٣ بـ م	٩٢ مخائيل السادس سنة ١٤٧٥ بـ م		
٧٠ غبريل الثاني	١١٣١	٩٣ يوحنا الثاني عشر	١٤٨١	٧٠ غبريل الثاني	١١٣١	٩٣ يوحنا الثاني عشر	١٤٨١
٧١ مخائيل الخامس	١١٤٥	٩٤ يوحنا الثالث عشر	١٥٢١	٧١ مخائيل الخامس	١١٤٥	٩٤ يوحنا الثالث عشر	١٥٢١
٧٢ يوحنا الخامس	١١٤٦	٩٥ غبريل السابع	١٥٢٦	٧٢ يوحنا الخامس	١١٤٦	٩٥ غبريل السابع	١٥٢٦
٧٣ سرقس الثالث	١١٦٦	٩٦ يوحنا الرابع عشر	١٥٧٠	٧٣ سرقس الثالث	١١٦٦	٩٦ يوحنا الرابع عشر	١٥٧٠
٧٤ يوحنا السادس	١١٨٩	٩٧ غبريل الثامن	١٥٨٩	٧٤ يوحنا السادس	١١٨٩	٩٧ غبريل الثامن	١٥٨٩
٧٥ كيرلس الثالث	١٢٣٥	٩٨ سرقس الخامس	١٦٠٢	٧٥ كيرلس الثالث	١٢٣٥	٩٨ سرقس الخامس	١٦٠٢
٧٦ انطليوس الثالث	١٢٥٠	٩٩ يوحنا الخامس عشر	١٦١٩	٧٦ انطليوس الثالث	١٢٥٠	٩٩ يوحنا الخامس عشر	١٦١٩
٧٧ غبريل الثالث	١٢٦٩	١٠٠ متي الثالث	١٦٢٩	٧٧ غبريل الثالث	١٢٦٩	١٠٠ متي الثالث	١٦٢٩
٧٨ يوحنا السابع	١٢٧١	١٠١ سرقس السادس	١٦٤٦	٧٨ يوحنا السابع	١٢٧١	١٠١ سرقس السادس	١٦٤٦
٧٩ تودسيوس الثاني	١٢٩٤	١٠٢ متي الرابع	١٦٦٠	٧٩ تودسيوس الثاني	١٢٩٤	١٠٢ متي الرابع	١٦٦٠
٨٠ يوحنا الثامن	١٣١١	١٠٣ يوحنا السادس عشر	١٦٧٦	٨٠ يوحنا الثامن	١٣١١	١٠٣ يوحنا السادس عشر	١٦٧٦
٨١ يوحنا التاسع	١٣٢٨	١٠٤ بطرس السادس	١٧١٨	٨١ يوحنا التاسع	١٣٢٨	١٠٤ بطرس السادس	١٧١٨
٨٢ بنيامين الثاني	١٣٢٧	١٠٥ يوحنا السابع عشر	١٧٢٧	٨٢ بنيامين الثاني	١٣٢٧	١٠٥ يوحنا السابع عشر	١٧٢٧
٨٣ بطرس الخامس	١٣٤٠	١٠٦ سرقس السابع	١٧٤٥	٨٣ بطرس الخامس	١٣٤٠	١٠٦ سرقس السابع	١٧٤٥
٨٤ سرقس الرابع	١٣٤٨	١٠٧ يوحنا الثامن عشر	١٧٧٠	٨٤ سرقس الرابع	١٣٤٨	١٠٧ يوحنا الثامن عشر	١٧٧٠
٨٥ يوحنا العاشر	١٣٦٣	١٠٨ سرقس الثامن	١٧٩٧	٨٥ يوحنا العاشر	١٣٦٣	١٠٨ سرقس الثامن	١٧٩٧
٨٦ غبريل الرابع	١٣٧١	١٠٩ بطرس السابع	١٨٠٩	٨٦ غبريل الرابع	١٣٧١	١٠٩ بطرس السابع	١٨٠٩
٨٧ متي الاول	١٣٧٥	١١٠ كيرلس الرابع	١٨٥٤	٨٧ متي الاول	١٣٧٥	١١٠ كيرلس الرابع	١٨٥٤
٨٨ غبريل الخامس	١٤٠٩	١١١ ديمتريوس الثاني	١٨٦٢	٨٨ غبريل الخامس	١٤٠٩	١١١ ديمتريوس الثاني	١٨٦٢
٨٩ يوحنا الحادى عشر	١٤٢٧	١١٢ كيرلس الخامس	١٨٧٥	٨٩ يوحنا الحادى عشر	١٤٢٧	١١٢ كيرلس الخامس	١٨٧٥
٩٠ متي الثاني	١٤٤٣	(وهو الطريرك الحالى)		٩٠ متي الثاني	١٤٤٣	(وهو الطريرك الحالى)	
٩١ غبريل السادس	١٤٦٧			٩١ غبريل السادس	١٤٦٧		



الجزء الأول

الفصل الأول

﴿ عَجِيْهُ، قِصْرَ الْمَصْرَ بِهِ ﴾

قد يتوجه المرء ان تاريخ قرن واحد بما لا يعتد به كثيراً في حياة امة يقدر عمرها بالقرون لا بالستين ويقتضي لتشيد معبدها الاعظم أكثر من التي سنة ولتداعي دعائه الى السقوط نحو مثل هذا الامد ايضاً من الزمان ولكن الحقيقة ان في ظرف مائة سنة فقط زار مصر ثلاثة زارين تغيرت فيها كافة احوالها ومظاهر حياتها المالية تغيراً كلياً مدة اجيال مديدة . وبيان ذلك انه فيما بين السنة الثلاثين قبل الميلاد والستين بعده شهدت مصر مجيء او فسططس قيصر اولاً ثم مجيء السيد المسيح ثـم مجيء مار سرقس الانجيلي

اما القيصر الذي في عهده حصلت مصر القديمة الى المملكة الرومانية فهو او فسططس قيصر الذي جاء عنه في المهد الجديد بأنه « اصر بان تكتب جميع المسكونة ، وكان وقوع مصر في قبضة يده في السنة الثلاثين قبل

التاريخ المسيحى بحملها ولاية رومانية ولو لم يكن الرومان منذ بداية اسرهم الى تهابه الا طامة أجنبية يحقرها المصري ويبغضها ولكنه يخافها ويخشى يأسها على عكس ما كان بينه وبين اليونان الذين سبقوا الرومان اليها . على ان مصر لم تعتبر فقط اقليماً رومانياً بحصر اللفظ بل كانت اشبه شيء ببر ترقى خصوصي الامبراطور القاپض على زمام السلطة الرومانية بحيث كان لا يجوز لأحد ما من اعضاء مجلس شيوخ الدولة ان يطأ أرضها او يقيم بها

ولاجل الاحتياط باطراف موضوع تاريخنا سنسلط في هذا الفصل بالاجزء حالة مصر التي كانت عليها قبل الفتح الروماني أي قبيل دخول المصرية إليها بزمن قليل فنقول :

كان سكان مصر لذلك العهد يؤلفون على الاجمال من ثلات طوائف : اليونان واليهود والمصريين ومن هؤلاء يؤلف العدد الأكبر والسوداد الاعظم أما الآن فلا يبلغ عدد الاقباط في نفس بلادهم (وتعني بالاقباط المصريين الذين لا تذهب جنسية لهم شائبة الاختلاط) نصف ما يبلغ عدد اليهود المستوطنين بديار مصر وقت الفتح الروماني . والسبب في زيادة هذين المعنصرتين الاجنبيتين هو استقرار مهاجرة اليونان واليهود الى هذا القطر مدة حكم البطالة عليه الى درجة اصبح فيها كل فريق منها حيث عبارة عن امة أجنبية مستقرة في البلاد ممتازة بآهلها وشرعيتها عن سواها

اما اليونان ف كانوا مع طول عهدهم بمصر وتناسيلهم ونسلهم بين ملائهما وسمائهما اجيالاً عديدة لا زالون يضعون انفسهم في منزلة النزلاء والفاتحين ولا يرضاخون لسيادة الرومان وقياصتهم الا ظاهرياً غير ان البأس والخمية الحربية التي كانت شماراً لا جداتهم اصبحت لهذا العهد فيها اثراً بعد حين ولم يبق لهم ما يشتغلون من الشؤون الا المتأخر والاشغال الادبية وكأنوا يقيمون في مدنهم الخاصة بهم وهي في الغالب عبارة عن مراكز تجارية مخصصة يعيشون فيها احراراً هاربين يحكمونهم من الرومان كأنهم لم يرضاخوا لنيرهم الا لان ذلك أقرب الطرق للوصول الى ما يبتلونه من الثروة واليسار وبهذه الحالة كان القليل من الجنود الرومان يكفي لبقاء الملكة المصرية برمته في حالة الطاعة والخضوع وكانت الاسكندرية ام المدائن اليونانية في مصر او هي باريس العالم القديم باسره . وكانت بطيموسة وهي مدينة الاخري في هذا القطر اكبر مدن الصعيد وقت افتتاح الرومان لمصر ولا تكاد تقل في الاهمية عن مدينة ممفيس المصرية . اما هايوبيوس مدينة العلم القديمة ومدرسة مصر الجامحة ومقصد الطلاب من قدماء فلاسفة اليونان ف كانت قد اصبحت في ذلك الحين قاعاً صنفاناً لا ترى فيها سوى بعض اطلال باileyة يقال انها بقايا الدور التي سكنتها افلاطون وغيره من فلاسفة اليونان وكان على الضد من ذلك مدينة بابايون مفتاح الجنوب التي وضع الفرس اساسها وأخذت في الاتساع والنمو حتى بلغت من الاهمية مبلغاً عظيماً

إلى أن جاء الرومان فزادوا في عظمتها بتشييد الحصون والمعاقل وانشاء المباني الواسعة بها

ومن أقدم مواطن اليونان في الديار المصرية مدينة نوكراتيس وكان فيها مدرسة جامعة شهيرة بقيت ابوابها مفتوحة إلى أواخر القرن الثاني بعد الميلاد

اما مدینة طيبة وايديوس فكانتا كلتاها قد انحطتا إلى درجة قرية بسيطة.

اما قورينة وهي مسورة يونانية تابعة لمصر منذ أكثر من مائة سنة ومحبطة جزءاً منها فكانت لا تزال زاهية بمدرستها الجامعية عامرة بتجارتها الواسعة وقد استمرت كذلك إلى نهاية القرن الرابع بعد الميلاد

الحالة الدينية - كانت الطوائف الثلاث متسلكة كل بدينه الأصلي غير أن اليهود والمصريين كانوا أشد تمسكاً وتعصباً من اليونان الذين

شاع بينهم وقتلا نكران الالوهية ونبذ معتقداتهم الدينية وعدم الافتراض سواء بأمر معبوداتهم أو إمبراطورتهم . وكان الملك بطليموس

سوتير قد حاول إيجاد معبود يشترك رعاياه من مصرىين ويونانيين في عبادته فابتني في اسكندرية هيكل سيرابيس العظيم وقام فيه

تمثالاً هائلاً من صنع مدينة سينوب باقليم بافيجونيا اتخذه اليونان والمصريون كناء عن الآلهة هادس وأطلق عليه أولئك اسم (يلونون)

وهو لاء، اسم (اسارابي) اي او زيرس المخفي ثم لم يغض عليه قرن بعد ذلك حتى غلت كلمة سيرابيس التي هي تحريف (اسارابي)

فصارت على عليه . وهذه العبادة كانت الجامعه الوحيدة بين اليونان والمصريين غير أنها مع كل ذلك لم تسع اسوار اسكندرية حتى زمن دخول النصرانية إلى بلاد مصر

اما ديانة المصريين القديمة فكانت قد اندثرت منذ عبد طويل وحل محلها مجرد عبادة الحيوانات . وكأن تلك المعانى الروحية والاصول الادبية التي كان لها اشد تأثير على عزول الملوك وفلسفه الازمنة الغابرية قد فارقتها ولم يبق منها أثر الا ما كان مسترداً على حكاية لا تعقل او خرافية لا تصدق واصبحت البهائم والطيور التي لم تكن في الاصل على ما يظهر سوى علام على الاقاليم المختلفة او شعاراً متخدلاً للدلالة على كل منها موضوع عبادتهم الان كاملة في الرى والعلن وكانت سبباً ل揆ازعات ومنافسات شديدة كثيرةاً ما أدت لاصلاء نار حرب داخلية بين اقليم وآخر وكان هذا من اقوى عوامل تشتت شمل الامة وتجزها عن الاتحاد والوعوف في وجه اي عدو كان ولو اجنبياً عنها . وكان المعبود الاعظم في مدينة ممفيس الشور أبيس وفي أومبوس التساح وفي اوكيپري تكون نوع من عبود من سك النيل وفي مدينة سيوط الذئب وفي سينوبوليس الكلب وهلم جرا مما يطول شرحه . نعم ان كثيرين من الكهنة والخواص كانوا لا يزالون يعتقدون بالله واحد في ثلاثة اقاميم وانه الفاعل لكل خير وان تقىة الآلهة ليست الا عبارة (رمز) عن مظاهره وتجلياته المتعددة غير ان هؤلا

كانوا يترفون على العامة والسوق ويعتبرونهم احقر من ان يتداخلو
في منافساتهم بشأن الطيور والحيوانات التي حلت محل الدين عندهم . وكان
لهم مثل يضربونه في هذه الاحوال يظير منه انه كان لايزال في المصريين
لذلك العهد من لا يعتد بظواهر الدين ولا يعتبر التكاثر بشعار وتقايد
الدين الخارجية شيئاً بالنسبة للإعان الصحيح مع عيشة القوى وهذا هو
المثل « ليس بالكتان الايض وقص الشعر تكون تقوى ايس » ،
وكان المصريون ياربون كثيراً شكلاً مخصوصاً من الرياضة الروحية
يظهر انه يلزم في الغالب حالة الامة اذا صارت الى درجة سافلة في معتقدها
فن ذلك من اولتهم استحضار ارواح الموتى في نظير جعل يأخذونه من
الطالب واستجواب تلك الارواح على ما يلقى عليهم من الاسئلة وكذلك
استعمال التكلم من الباطن واستخدام ذلك في مثل ما ذكر من الانحراف
ولا يخفى ان هذا الفن بي معروفاً في مصر على الدوام

وتصانع طائرة الصيت في جميع انحاء العالم المتقدم وقند . فتها ما كان
خاصاً بتركيب الادوية والمعاقير ، انواع الاصبغة . ومنها معامل الورق
والحرير والزجاج هذا فضلاً عن شهرتها في الحاصل الزراعية . وكفى
دليلًا عليها ان مصر كانت تقدم الى سادتها الرومان منذ تواليهم عليها
مقادير جسمية جداً من الحنطة في كل عام . وكان المصريون لذلك لابن
يصطنعون من الورق ثانية انواع مختلفة ثم اختروا نوعاً تاسعاً منه في
عهد كاوديوس قيصر فسموه باسمه اكراماً وتعظيمًا له . وكانت تصنع
الكميات الوافرة ايضاً من منسوجات الكتان والقطن وكذلك من
نبذ العنبر ولكنه كان لا يضاهي ابنة اليونان وايطاليا في جودته .
وكانت تستخرج ايضاً مصر الجعة (البيرة) ويشرب المصريون منها
مقادير وافرة ولا تزال تصنع الى يومنا هذا غير ان زراعة الكروم قد بطلت
برمتها تقريباً لهذا العهد لاسباب سنائية على ذكرها بعد
اما عن سودان مصر الذي كان في عهد الفراعنة وبعض ملوك
البطالة محتواً على اقاليم تعتبر من اعم اجزاء المملكة المصرية فلم يكن
لمصر منه قيد شبر ياقياً حينما افتحها الرومان بل لم يكن وقند يرد الى
اصوان مما ليه اجنبياً اي شيء كان من بضائع ذلك السودان ومحاصيله
عن طريق النيل واصبحت حاصلات افريقيا الجنوبية ثانية بها الفن
الى ميناء يورنيس بحراً فقط . ثم بعد ان تم فتح الرومان لمصر لم يتيسر
لهم مطلقاً توسيع نطاق فتوحاتهم الى ما يجاوز وادي حلقا بل كثيراً

ما التزموا ان يعتبر واحدهم الجنوبي الى الشمال من حلقا . وزد على ذلك انه في عهد اوغسطس قيصر ارسلت كنداكه ملكة الجبعة جيشاً مؤلفاً من ثلاثين الف مقاتل الى مصر لشن الغارة عليها فظفر هولاء الاحباش بالجنود الرومانية في جزيرة الفتين (أنس الوجود) واصوان وجزيرة اسوان (فيلا) ولكنهم تقهروا بعد ذلك من امام القائد الروماني جاؤس فاقتفي أثرهم الى ان دخل مدينة بنادطة عاصمة مملكتهم ظافراً منتصراً ومن ثم قيبل راجعاً الى مصر

ولنرجع الى الكلام عن شعوب مصر فنقول : لا شك ان عدد اليهود كان يبلغ مليوناً من النفوس تقريباً وقت افتتاح الرومان لمصر فان مهاجرتهم اليها استمرت عدة قرون منذ قام يوحنا بن قارص بأخذ بقية اليهود مع ارميا النبي وباروخ بن نيريا وأئذ بهم رغمما عن معارضة ارميا الى ارض مصر الى تحفنهيس ومجدل ونوف وارض بثروس خلت عليهم مصر مسائب كثيرة كما تباء عن ذلك ارميا . غير ان ذلك لم يكن ليوقف تيار المهاجرة بدليل انه بعد ثلاثة سنين من ذلك التاريخ اي عقب اغارة الفرس على مصر وانقالها لليونان من بعدهم كان عدد اليهود فقط الذين عذبهم من الرق بطليموس فيلادلفوس يبلغ في مصر مائة وعشرين الفاً وهؤلاء طبعاً هم الذين كانوا أخذوا اليها رغم انفسهم في أثناء حروب ابيه مع ملك سوريا ولكن لا شك انه كان يوجد بمصر الوف غيرهم من اليهود الاحرار الذين قصدوها طوعاً واختياراً منجددين اليها بما

اشهر عنها من وفرة خيراتها وحسن نظام حكومتها بحيث لا يصح لنا مطلقاً الحكم بان المائة وعشرين الفاً المذكورة آنفاً كانت عبارة عن جميع اليهود القاطنين بمصر في زمن بطليموس فيلادلفوس . وفضلاً عما قدم فإنه في عهد بطليموس فيلومتر التجاء اونیاس بن حنانيا رئيس الكهنة الى مصر وأذن له الملك بتشيد الهيكل الذي اشتهر بعد ذلك باسم هيكل اونیاس بمدينة ليونتوبوليس بقسم عين شمس باقليم بيوستس فزادت بذلك اسباب الرغبة من اليهود في التجيء الى مصر والتوطن فيها حتى انه في زمن الفتح الروماني كان موطن السواد الاعظم من يهود مصر بقسم عين شمس (هليوبوليس) أو بمدينة الاسكندرية حيث اخصوصوا منها بقسمين كاملين من اقسامها الخمسة وكان افراد كل من طائفتي اليونان واليهود الاجنبية متعمقين بجميع الحقوق المدنية والسياسية اما المصريون ابناء البلاد فكانت محرومة عليهم هذه المزايا فلا يتلقاضى اليهودي مثلاً او اليوناني الا امام قضاء من ابناء جلدته اما المصري فيحاكه الاجنبي . وقد سعى يونان اسكندرية في سلب الحقوق المذكورة من اليهود ايضاً مدة وجود اوغسطس قيصر بالديار المصرية فردهم خائين غير انه لم يجد حيلة في ما رأه من اختصار اليونان والمصريين كلهمما لثالث الطائفة وازدرائهم بها ولم يسعه الا القسم على ما تعوده اليونان من اهتمام حقوق ابنائهم ومتنازعاتهم في ما لهم وفي عهد الامبراطور كالينولا كانت اسكندرية عبارة عن ميدان

حرب متسع الارجل بين اليونان واليهود اذا ضر اليونان التشفى والانتقام من هؤلاء بان أخذوا على أنفسهم اكراه اليهود على العمل بوجب امر اصدره هذا الامبراطور يقضي باقامة تمثاله في جميع المعابد الموجودة بالملائكة واداء العبادة له . ولم ير اليونان طريقة لازام اعدائهم بالرضوخ لهذا الامر الاجباري ومناصبهم الشر والعداء على الدوام وكان فلاكس الوالي الروماني اذ ذاك معضداً لاليونان فترتب على ذلك اضطهاد اليهود اضطهاداً شنيعاً جداً واتفق حينئذ ان اغرياً ملك اليهود قدم الى الاسكندرية وشاهد تلك الحالة المريعة فابلغ الامر الى كالينولا وتلطف معه حتى نال منه امر ابعزل الوالي وادن في حضور وقد من اليونان واخر من اليهود ليعرضوا الامر عليه في رومية وكان زعيم الوند اليهودي فيلو الشهير بعلمه وآدابه ونادرته عصره في الفضل والكمال وكان رئيس الوفد الثاني أبيان احد ابناء الاشراف من اليونان وهو اسكندرى الاصيل والمحتد وكان من فطنة اليونان انهم تصرروا شکواهم على امر واحد وهو اذ اليهود دامتوا عن اداء العبادة لتمثال الامبراطور . فلما مثلاوا امامه وسائلهم كالينولا في ذلك لم يسع اليهود ان ينكروا فقضب وأبي انس سمع منهم قوله بعد ذلك فعادوا يستثرون باديالهم غير انه لمن الاحظ لم تطل حياة الامبراطور كالينولا اذ مات عقب ذلك بزمن قليل وتولى الملك بعده كلوديوس قيصر وفي عهده التزمت الطائفتان المهدانية والسلم اما اسباب هذا العداء بينهما فلا ريب انه من اهبا فوز اليهود

مع حقارتهم على اليونان في معظم الامور التي كان هؤلاء يفتخرؤن ببنيتها اليهم واحتياصهم بها . فقد كان اشهر علماء الاسكندرية وكتابها لذلك العهد من اليهود وكانت مدارس الاسكندرية ولو احياناً متزلاة عما كانت عليه في عهد البطالمة لا تزال مشهورة في جميع أنحاء المسكونة غير ان اسماء كبار فلاسفتها ومعلميها أصبحت عبرانية لا يونانية وناهيك بفيلايو اليهودي فخر العلم والعلماء بتلك المدينة في القرن الاول للميلاد وكانت عائلة فيلو هذا في الطبقة العليا بالاسكندرية من حيث مركزها الادبي والمالي . اما الرجل فكانت ولادته يصر عتب الفتح الرمانى بعده وجيزه والظاهر ان هذا البيت كان مقرباً بالمعاملات المالية من اولئك الامبراطرة الظافرين منذ نشأته . فان الاسكندر اخا فيلو ورئيس تلك العائلة كان رئيساً لاحدى المصالح بالاسكندرية وموكلأً على اشغال اسطولها اخت امرأة طيباريوس قيصر وكان يفرض اموالاً طائلة للملك اغرياً اليهودي وقيل انه صاهره بان زوج ابنيه بابتي الملك . وكان الاسكندر ابن ثالث يدعى طيباريوس ترك الدينار الموسوية ونصب بعد ذلك ولياً على مصر وكان فيلو في آناء هذه المشاغل الهامة العائدية على يديهم بالارباح الطائلة واجاه البربخ منكباً على مزاولة العلوم الفلسفية والدينية والادبية مشتملاً بها عن كل اسوانها فاذا مرت الحاجة يوماً الى تدخله في شؤون المدينة او دسته الاحوال الى التقدم للدفاع عن ابناء جلدته

نهض نهضة الشهم الهمام وقام بالواجب عليه خير قيام موعداً بطون الاوراق عبارات اسفه على مفارقة الحابر والاقلام واستبدال لذة العزلة بخوض بحر السياسة العجاج . والظاهر انه كان في زمن شيخوخته قد اعتاد الخلوة في أوقات معلومة مع جماعة التوحدين الذين ابقوا عنهم ذلك التعبير البديع في مؤلفه المسمى (الحياة الفكرية)

اما مدينة الاسكندرية فقد ابتدأت بالانحطاط منذ سرى الفساد في ملك البطالسة . ولو جرى قياصرة الرومان بعد ذلك على خطأة الثلاثة ملوك الاول من الدولة بطليموسية وكانت قد عادت بذلك الاسكندرية الى مجدها الاول ولكن تغير الدولة جاءها ضئلاً على ايالة وذلك ان اوغسطس قيصر تعمد خرابها باشائه عاصمة جديدة دعاها يكوبوليس كان موقعها الى شرق الاسكندرية على مسافة ثلاثة اميال ونقل اليها كثرة المدينة الاصيلة بالقهر والاكره ولكن اراده اليونان وطبيعة الاحوال كانت

اقوى من ارادته اذ لم تکد تم تلك العاصمة الجديدة حتى خيم عليها عنكبوت الخراب وتداشت اركانها لاستوط وهكذا بقيت الاسكندرية بعد القتح الروماني واستمرت زمناً بعد المسيح ايضاً وهي المدينة الاولى في العالم باسره بدون استثناء رومية او اثينا وما على الذي يعني التحقق من ذلك سوى ان يلتفت الى خريطة الاسكندرية القديمة كما هي مرسومة باسم الكتب الافرنكية المدينة المسماة « دليل مصر » ثم يقارن بينها وبين المسافة التي تشهدها الان المدينة الحالية المتخذة لنفسها ذلك الاسم

الشهر . وكانت القصور البادحة والهيكل القخيمة تشغل ربع مساحة الاسكندرية في السنة الاولى من التاريخ المسيحي وكانت ميتاتها الشهيرتان تستملان على ما لم تسعه اية ميتا اخرى في العالم من السفن وتجارتها الخارجية تفوق على صادرات ايطاليا كلها . وكانت دار التحف والاثار قد شيدت بعد ان احرقتها جيش يوليوس قيصر ثم بني بها متحف آخر في عهد كلو狄وس قيصر وسمى باسمه . وانشيء بها ايضاً قصر بهي لاقامة القياصرة الرومانين وسمى (سيزاريوم) اي مسكن القياصرة . وكانت مكتبة هيكل سيرايس الحصين تحوى زهاء ٧٠٠ الف مجلد كلها مشحونة بغير حكمه المصريين وعلومهم . وكما كان لليونان المتحف ولامصر بين المهيكل كذلك كان يتفاخر اليهود بكنيسهم الاعظم الذي يعتبر من اجل المباني وانفها

هذه بوجه الا يجاز كانت حالة البلاد والناس الدين اتي ليملك عليهم القيصر الروماني . فهلا عرف ياترى انه قبل موته يدخل مصر ملك آخر يخضع لسلطته اليوناني والروماني واليهودي والمصري على السواء وان اسه يزيع ويشيع في كل زمان ومكان حيثما لم تصل السطوة الرومانية ولم يتزدد صدى نفوذها

الفصل الثاني

«مجيء المسيح إلى مصر»

اما هاتيك الآلة و تلك الابهة والعظمة والجلالة الملازمة لها فقد اندرست و بادت الان مع كل آثارها واصبح الكل نسيماً وأمست هيا كلها اطلالاً باية واما اسم ذلك الطفل فلم يزل ولن يزد مكرماً مشرفاً في جميع أنحاء المعمورة وهو يسوع المسيح مخلص العالم وانا لا زر في تثليل الحادثة السالفة ذكرها ما يوجب الريب في صحتها البتة . فان يوسف لا يأتي طبعاً بولده وامرأته من بيت لم الى مصر الا عن طريق الصحراء بجهازاً القنطرة ومنها الى عين شمس ثم بایللون التي يوجع انه قطضاً مدة اقامته بالديار المصرية . وقد كان هيكل اليهود الاعظم الذي شاده او نیاس بالقرب من عين شمس الى الشمال الشرقي من بایللون لا يزال قائماً لذلك العهد غير انه لا يوجد ما يدل على ان يوسف وعائلته اقاموا به ولعل السبب ان يوسف كان له اقارب او اصحاب بایللون فكن حيث كانوا . ومتى يؤيد هذا القول انه اذا ذكر هيكل او نیاس في جميع الروايات المصرية القديمة المشحونة ماحبار الآيات والعجبات التي حصلت في كل مكان وطأه قدم السيد له المجد في ارض مصر مثل خبر سقوط الاصنام في عين شمس حالما اُتي بالصي يسوع الى هيكلها على ما ورد في معظم النسخ القديمة من كتب الاناجيل المعروفة بالابو كريفا (اي التي لا تتمدتها الكنيسة المسيحية) كذلك النبع الذي لا يزال يشاهد الى هذا العهد بقرية المطيرية الى جنوب اطلاع عين شمس القديمة وقد جاء عنه في اقدم الاحاديث

ان الذي يزور مدينة لندن ويتفقد عاديتها يجد بين آثارها صورة تسمى «سنة الرب» وهذه الصورة تتمثل الاحتفال العظيم الذي كان يقيم المصريون لآلهتهم في السنة الاولى من التاريخ المسيحي مما كان شائعاً في مصر شيوعاً واسعاً . وكان ترتيب هذا الاحتفال كما يلي : يسير اولاً المغنوون ثم يتبعهم الضاربون على الاعواد وبين هذين فتيات حسناوات يضربن بالطبول والدفوف وتتقدم هذا الموكب السامي الالاهية ايزيس محولة على أكف الشرف والفخار ومعها ابنتها هورس جالساً على ركبتيها وحين مررور الآلهة في هذا الموكب يأتي الناس بترضاه على جانب الطريق كي ينالوا الشفاء والعافية . وكانت تباع صور الآلهة لاستعملها الناس كتعاونيد وطلائم واقية من كل سوء وضر . وفي وسط الصورة الممثلة لهذا الاحتفال يرى الناظر ركيحاً حقيراً قد انزوى جانباً لفتح الطريق لموكب الآلهة الحافل وهذا الركب مؤلف من امرأة و طفلها راكبين حماراً انهكه التعب وخلفهما زوج هذه الامرأة وهو رجل ديفي يسير راجلاً وقد اضناه الكلال وطول الثقة

ان العذراء غسلت فيه ثياب الصبي ابنها حينما جلس لترسيخ بجانب الطريق وقد اضناها التعب في آخر ايام السفر ثم انها بعد ذلك واصلت المسير حتى وصلت بابلدون فالقت بها عصا الترحال واستراحة من مساق السفر

اما مدينة بابلدون هذه فانها هي بابل المصرية ولكن شهرة سميتها بابل الآسيوية وما كان لها من الصيت الطائر والسمعة الفائقة قد قضى عليها بما لا تستحقه من خمول الذكر وانطفاء الخبر حتى ان كثرين من علماء التاريخ الأوروبيين لا يدرؤن عنها شيئاً على الاطلاق . وقد الف احد ائمه الانكليز (دين فرار) في هذه الاثناء مؤلفاً حديثاً لم يرد فيه عنها أكثر من هذه العبارة « بابلدون مدينة حقيقة في شمال افريقيا » كان لم تكن دعوها بزيارة بطرس الرسول ايها داعياً لزيادة الالتفات اليها والاعتناء بامرها أكثر مما ابداه هذا الكاتب . على ان من يعن النظر في مؤلفات الاولى قبل ان تسدل السلطة الاسلامية حجاب ظلمتها بين مصر واعين اوروبا تبين له من اهمية تلك المدينة ما ينافي عدم اكتتراث المؤلفين الحديدين بامرها الى هذا الحد (١)

هذا وقد اختلف المؤرخون في امر منشأ بابلدون . فقال ديودورس المؤرخ ان الاسرى البابليين الذين اخذهم من آسيا دعميس الثاني

(١) انه في نفس مدة حكم الاسلام كان مؤرخو الأوروبيين كمن عركوا من معرفة شيء عن مصر سواء كان يباب الحروب الصالية او غيرها وذكروه بمؤلفاتهم لا يذكرون ملوكها الا باسم « سلطان بابلدون » دون منفيس او القاهرة

(سيزوستريوس) ملك مصر واستعبدتهم فيما بعد شعواعها الطاعة اخيراً واحتلوا قلعة هابين (١) على شاطئ النهر تجاه مدينة منفيس الى الشمال منها - وشنوا غارة شعوا على البلاد المجاورة لهم فدواخوها ولم ينكروا عن القتال حتى عفي رعميس عنهم وامنهم خضعوا له واخلدوا الى السكينة بياحته لهم امتلاك الجهة التي احتلوها لتكون مستعمرة خاصة بهم فشيدوا هنالك مدينة دعوها بابلدون (او بابل) على اسم عاصمة بلادهم الاصلية (٢)

وكتب يوحنا اليهودي من نكيوس في القرن السابع بعد المسيح في عرض كلامه عن القلعة التي انشأها الامبراطور تراجان في بابلدون ما يأتي :

« وكان بوخذ نصر قد بنى بهذا المكان قلعة قديمة دعاها قلعة بابلدون وذلك حين استيلائه على مصر بعد ان نفى اليهود اليها عقب هدمه اورشليم وكانتوا قد رجعوا بني رب في طيبة بارض مصر وبذلك ارتكبوا اثناً على اثم . وقد قدم بوخذ نصر الى مصر بجيش جرار وحدبه لان اليهود الساكنين فيها عصوا عليه وسعى القلعة بابلدون على اسم عاصمة بلاده اشور » (انظر ارميا ٤٦ : ١٣ - ٢٧)

ولا شك ان هذه القلعة القديمة هي التي ذكرها سترابون الجغرافي

(١) قد - حسب الاستاذ سايس التisser هذه القلعة (اكريا هو) وليذكر القاريء ان اكبر المدن الامبرية القديمة لها اسمان

(٢) ان العلامة سمعت في قاموسه عن جغرافية اليونان والروماني يقول ان بابلدون المصرية هي الـ تحالف المقطاط وهذا خطأ كما لا يتحقق على الطلب

الرومانى في اثناء وصفه لرحلته الى مصر عقب افتتاح الرومان ايامها
وقت قصير . والى شمالي هذه الكلمة على بعد بعض مئات من الادرع
بنيت قلعة الامبراطور تراجان التي لا تزال اسوارها المبنية
ظاهرة الى هذا اليوم وكان بناؤها بين سنة ١٠٠ و ١١٧ ب . م .
ومما يتшوق القارئ لمعرفته ما يتناوله القوم من الروايات عن اقدمية
سكن اليهود في بابلون هذه . فان بين آثارها الان كنيساً لهم يتصل
 بتاريخه بعيد مجبي ، المسيح بصرف النظر عن توالي ترميمه وتتجدداته المرات
المديدة بل قد ذُعم بعضهم ان اصل بنائه كان في ايام ارميا النبي . وهكذا
ما ذكره عنه المقرئي في خططه قال : « ان موقع كنيس السورين
(او اليهود) يحصر الشمع (يتعسر العتقة) ^(١) وهو قديم جداً وقد
تفضل على عارضة باه كتبة قديمة بالعبرانية جاء فيها ان انشاءه كان في
سنة ٣٣٦ للاسكندر اي قبل خراب هيكيل او شاهد للمرة الثانية على
يد بطليموس بخمس واربعين سنة او نحو ٦٠٠ سنة قبل الهجرة ^(٢) .
وأُتُوجَد في ذلك الكنيس نسخة من التوراة اجمع كل اليهود بان
عمرها النبي كتبها برمته » اه

هذا وقد بقيت نسخة التوراة التي ذكرها المقرئي محفوظة
في محل الى خمس عشرة سنة مضت من عهدها هذا وكانت مخبأة في
موقع مقدس بالكنيسة المذكور وكتب اللعنات على كل من بعد
يده اليها ولكن بعض اليهود أثفى ذلك السر لغير ابناء الملة فكان
من ذلك انه في غيبة المؤكدين بحراسته دخل اثنان من المغزمين بالآثار
القديمة الى الكنيس وكرا الخباء الذي كان الدرج داخله ولم يعبا
باللعنات وتهديدات المرأة التي كانت تتوه عن المراس واجهها ان
يفتحا ذلك الدرج . غير انه مع تقادم العهد به على تلك الحالة من
الانفراد كان قد توصل اليه ثعبان دخل من صدع في الاختب فمش
في الخباء المحفوظ في الدرج كما دل على ذلك ما وجد من بقايا جلد
الثعبان فيه . وقد التصحت اطراف الدرج بضمها بعض التصاقاً متناسقاً كان
يغزو ذلك الثعبان من لعابه في تلك المدة بحيث ان صاحبنا الاثريين المذكورين
لم يجعلوا طريقة لفتح هذا الدرج ما لم يزفه ارباً فعدلاً عن ذلك وعادا
مقتنعين بعظم قدميته وفي نيتها ان يعودا مرة اخرى ويبذلا جهدهما
في فتحه . فلما عادا الى الكنيس المرة الثالثة وجد ان الحراس قد تنبهوا الى
ما حصل فبادروا بنقل الدرج الى مكان امين بالقاهرة وقد وضعوا في
 محله نسخة حديثة يرضونها الان على الزائرين بدعي انها النسخة
الاصيلة . ثم عقب ذلك ان هدم الكنيس القديم برمته وبني في موضعه
مجموع جديد يد انه مع كل ما احترأ على ذلك محل من التغيير والهدم والبناء

(١) ان مصر القديمة او المتقدمة هو الاسم الذي يطلق الارض على المساحة التي بنيت على اطلال
بابلون القديمة بعد ان دمرتها التيران في القرن الثاني عشر ولم يبق لهذا العهد من بقايا بابلون
 سوى سور تراجان والجزء الذي سكنه المسيحيون واليهود من تلك المدينة ويحيط به ذلك سور

(٢) لا رب في اذ المقرئي نقل التاريخ المقوش على ذلك السار بمحنه وهو سنة ٣٣٦
الاسكندر لكنه اتهم في حجمه اذ المعلوم اذ خراب اورشليم كان في سنة ٦٩ - ٧٠ بعد
المسيح وهو يوافق سنة ٦٢٢ قبل الهجرة .

كان اليهود يحافظون أشد المحافظة على بقعة يزعمون أن فيها القبر الذي يضم عظام ارميا النبي

وعلى كل حال فقد ثبت بأدلة عديدة أنه كان في مصر مستمرة من اليهود قبيل ميلاد المسيح وفي وقت ميلاده وانهم كانوا يعتبرون تلك البقعة من بابيلون المصرية اعتباراً خصوصياً ويزورها على غيرها من الأماكن . ثم ان السواد الاعظم من تلك المستمرة قد اعتنق الديانة المسيحية في أوائل ظهورها وأبدل المجتمع بكل كنيسة من ذلك العهد فلما حدث الانشقاق بين الكنيسة اليونانية والكنيسة المصرية في سنة ٤٥١ م تبعت كنيسة اليهود للملكين اي الروم فلما تناقض خاليم هجرت تلك الكنيسة واهملت وتداعى الى الحرب فالخذل المصريون وهي على تلك الحالة وبقيت من نمت باليهود الى ان التجأ اليها ميخائيل الثالث (بطريرك الكنيسة الملكية) في النصف الاخير من القرن التاسع بعد الميلاد بعد ان قبض عليه الحاكم الاسلامي واشترط عليه اموالاً طائلة يدفعها اليه في مهلة اربعة شهور والا اصر بقتله واثارة الاضطهاد على ابناء كنيسته

ولما رأى اليهود ببابيلون البطريرك ميخائيل في هذه الضيقة وكأنوا يرثبون كثيراً في اعادة تلك البقعة الى يدهم انذروا هذه القرصنة وطلبوها الافاظ لقديسيهم فهي كل دائرة الاصل ومعناها « رب » — اصلها ماري اي رب والكنيسة التي يحيى يسوع قد كرس باسم القديسين سريجوس وبالخوس وما تشهدان فداء عنه وعن كنيسته . اما اليهود فظلوا من ذلك العهد الى الان واضعين

يدهم على ذلك المكان وسواء كان القبر الذي به هو قبر ارميا حقيقة ام لا فلاريب انهم يكرمون تلك البقعة ويعززونها اعتباراً عظيماً وعلى مقربة من كنيس اليهود الآن ذكر توجد داخل أسوار القلعة الرومانية ايضاً كنيسة تكاد تكون الوحيدة في القطر من حيث كثرة رغبة السائحين فيها واقبالهم عليها من كل فج نظراً لما اشتهر عنها من الانباء والروايات القدمة وهي في الحقيقة عبارة عن كنيستين سفلی وعليها فالكنيسة العليا مكرسة على اسم القديس ابا (١) . او ابو سرجه ولم تشيء الا في القرن السابع للميلاد بعد ان هجرت القلعة عاصمة الروم وخلت منهم كلية وربما يكن ذلك حتى أوائل القرن الثامن . اما الكنيسة السفلية القائمة على سطح الارض الاصلي قبل ان يرتفع ارتفاعه الحالى بعد بناء القلعة فهي على صغرها قديمة العهد جداً وقد أصبحت الآثار كمرداب للكنيسة العليا . وقد جاء في الروايات القدمة عن هذه الكنيسة انها بذلت في عصر الرسل لتكون علامة على البقعة التي كانت قائمة فيها الدار التي سكنتها المسيح مع ابويه مدة اقامتهما في بابيلون . وينتب علىظن ان علامة الطلاق الحالية التي على حيطان المكان والاعمدية الصغيرة المرتكن عليها السقف غير قديمة العهد جداً ولكن الكنيسة عينها يصح

(١) « ابا » كلمة مصرية قديمة معناها « آب » وتحرفت « اما » في اللغة القبطية الجديدة وقد حلت محلها الآن كلمة « ابو » العربية وعم استعمالها . اما كلمة « مار » التي يستعملها الانفاظ لقديسيهم فهي كل دائرة الاصل ومعناها « رب » — اصلها ماري اي رب والكنيسة التي يحيى يسوع قد كرس باسم القديسين سريجوس وبالخوس وما تشهدان فداء عنه وعن كنيسته . اما اليهود فظلوا من ذلك العهد الى الان واضعين

بلا شك اعتبرها اقدم واصغر كنيسة في الوجود . وقد لا يتبين للانسان معرفة مساحة الكنيسة بالضبط نظراً لأنها مبنية على جانب الردم على جانب الغربي والشرقي ولكن طول الكنيسة بحالتها الراهنة يبلغ نحو ٢٠ قدماً وعرضها ١٥ قدماً . ولا تزال معمودية الكنيسة بالجانب الايمن مستعملة الى هذا العهد ويدرك مع الاسف الشديد ان الجبلاء ، من الاقباط الذين في يدهم هذا الامر الجليل يملؤون عقول السائحين الذين يذهبون افواجاً لرؤيه بخرافات وحكايات عقيمه عن يوسف ومریم العذراء . وقد تعرف هذه الكنيسة بـ **كنيسة العذراء**

واعلم انه في ايام مجىء المسيح له المجد الى هذا المكان كان موقع هذه النقطة على شاطئ النيل تقريباً ولم يكن سور العظيم المتداعي لسقوطه الا ان قد اثنى ، بعد بل كان ذلك القسم برمته من بابل يلون عبارة عن حارة اليهود بها ولا وجه لاريب مطلقاً في صحة الرواية القائلة بـ **كنيسة يوسف** ومریم في ذلك المكان مدة اقامتهما في بلاد مصر أو معظم تلك المدة . ولكن اختلف الباحثون من شرقين وغربين في تقدير مدة بقاء السيد في ارض مصر فذهب بعضهم الى انها ستة اشهر فقط وقال آخرون انها ما يزيد عن سنتين واربع سنتين الى ست

الفصل الثالث

كرازه مرسى الانجلي

سنة ٤٥ بـ م

قد ثبتت بالاجماع ان مؤسس كنيسة مصر هو القديس مرقس الانجلي غير ان السنة التي جاء فيها الى مصر لاول مرة لم يتفق على تعينها تماماً . والظاهر ان مار بطرس الرسول رافقه الى بابل يلون وهنالك كتب رسالته الاولى للامم كما اشار الى ذلك في آخر تلك الرسالة . نعم ان الباحث لا يستطيع ان يأتي بدليل قاطع على ان بابل المذكورة في رسالة بطرس هي بابلون المصرية فضلاً عن ان مؤرخي الفريجين كثيراً ما حاولوا ان يثبتوا ان المدينة التي اشار اليها بطرس هي بابل اشور او انه استعمل هذا الاسم مجازاً للدلالة على مدينة رومية . غير ان العدالة توجب علينا ترجيح القول الاول بدليل كون الاقرب الى الصواب هو ان بطرس الرسول كتب رسالته من مدينة مشهورة مأهولة باليهود وكانت ملحة لسيده كبابلون المصرية لا انه كتبها من مدينة مقفرة لا داعي يدعوه الى التوجه اليها بنوع مخصوص كبابل اشور اخارجية عن دائرة حدود المملكة الرومانية . ثم انه من الجهة الاخرى يبعد علينا التصديق

يأن بطرس الرسول استعمل كلة بايلون مجازاً للدلالة على رومية متشبهاً في ذلك بمؤلف سفر الرؤيا المشهور بنموض عباراته . على أنه في الأعصر الأولى من التاريخ المسيحي قلما كانت الكنائس الفريدة تعرف شيئاً عن بايلون مصرية (١) إذ كانت بلاد مصر ممثلة في عينيها بلقطة كنيسة الإسكندرية . وعلى هذه الكنيسة نسي لا هو تتو غرب كل شيء عن بايلون المصرية أو غيرها من مدن مصر عقب انسحاب الكنيسة المصرية عن الكنيسة اليونانية سنة ٥١ م حتى ان كل ما صادفهم عن بايلون المصرية في التواريخ المسيحية القديمة كانوا يستدونه بلا تردد إلى بابل الآسيوية . ولسبب هذه الخلط بين المدينتين تأصل فيهم الاعتقاد بصدر الرسالة السالفة ذكرها من بابل الشور كما سبق القول

اما مار مرقس نفه فقد ذكر في التواريخ المصرية انه ولد بأقليم الحس مندن الزربية (بتابوليس) (٢) الواقع على حدود المطر المصري من الجهة الشمالية الزربية وكان يعتبر جزءاً من مصر وقطعة من املاكه منذ

(١) يدل أن المحدثين أيضاً من مؤلفي التراث بلا زالون بجهة باليون . فقد ورد ذكر بايلون في كتاب «قاموس الدير المسجنة» للعلامة سعيد نقلاب عن مؤذن تقديم ولكن الناقل سرد لكتابه وهو يدل فيما يظهر أن الكلام مختلف بايل الشور يقع في إبراجمة العباراة الأصلية تحرب به يعني بايلون المصرية وهناك النص المشار إليه «ان هيلاريون يارح بيت لم وعنه أربعون راهنا خاروا أربعة أيام متوالياً لا يذوقون طعاماً إلا في المساء وفي اليوم الخامس وصلوا إلى (يلوزيم) وهي مدينة على قم الفرع الشرقي للنيل فقابلوا ادراوكو تبيوس ومنها وحروا ليونشاهدة هذه» .

(٢) ان هذا الأقليم يحتوي على حس مستعمرات يونانية — وهي المعروفة عند الاقباط بالحس مدن الغربية — وهي سيرين (القيروان) وستوليس (لوبرقة) وارسيتو (اوتيورخيا) ويريس (هيريدس) وأبولوسيا ولذا أطلق عليه اسم الحس مدن واستقرت خاصة نصر بعد حكم الرومان بعدة طوبلة

عبد بطليموس الأول . ويقال ان مار مرقس من عائلة كانت ذات ثروة ويسار بذلك الأقليم فسلط عليها بعض قبائل البدو الرحيل ونبت اموالها وامتعها حتى أصبحت فقيرة حقيرة وكان ذلك قبل ولادة مار مرقس او في زمن طفولته وكان ابوه يدعى كريستوبوليس وكان سلقاً ليرنابا وقد هاجر إلى فلسطين واستوطن بقانا بالقرب من مدينة اورشليم ثم تمت الصلة بين هذه العائلة وبطرس الرسول بواسطة النب وهكذا أرضع مار مرقس لبان التعليم المسيحي منذ نعومة اظفاره . ويرجح ان زيارته الأولى لمصر كانت في سنة ٤٥ م (١) والظاهر ان بطرس الرسول كان مرافقا له في هذه الزيارة كما اسلفنا وكان مجدهما إلى مصر في قافلة كما هي طريقة السفر في تلك الأيام فسارا من سوريا عن طريق الصحراء إلى هليوبوليس (عين شمس) ومنها إلى بايلون . وبعد ان مكثا فيها مدة افترقا فعاد مار بطرس إلى فلسطين من حيث آتى وأنفذ مار مرقس إلى الإسكندرية والحس مدن الغربية كاروزاً ومبشراً ولا يبعد ان قسماً كبيراً من أنجيل مار مرقس كتب مدة اقامتهما معاً بايلون للاستعانة على عمل التبشير في مصر بواسطة مرقس

ويروى ان أول من اعتنق الديانة المسيحية في مصر على يد مار

(١) قال يوسيفوس المؤرخ ان مار مرقس اتى الإسكندرية في السنة الثانية من حكم افلوديوس قيسار اي سنة ٤٣ بـ م . وفي تاريخ الإسكندرية انه جاءها سنة ٤٦ بـ م . والذي يراجع المؤوثات المذكورة في سفر أعمال الرسل يجد ان جعل سنة ٤٦ تاريخاً لجي مارقس الى مصر اقرب الى الحقيقة من سواها .

مرقس رجل اسکاف من الاسکندرية اسمه اینانوس^(۱) . والذی رأى اسوق الاسکافية في مصر وحوائیم الرطبة المظللة من الداخل وقد علقت على ابوابها صفوف الاحدية من حمراء وصفراء وتحتها تلك المقاعد الضيقة وحولها العمال يتتاغلون بمحادثة المارة - لا يصعب عليه ان يتصور حالة مار مرقس في بدء كرازته وما اعقبها من البحث والمناقشة مع باني الاحدية . وقد جاء في الرواية التي نحن بصددها أن مار مرقس صنع آية مع اوینانوس ويرجح انه شفاء من مرض عضال كان لا يرجي شفاؤه منه فاكرمه اوینانوس على هذا الصنع الجميل وأخذه الى منزله ضيفاً مدة من الزمن ثم اعتنق الديانة المسيحية على يده فافتدى به في ذلك خلق كثير . وما رجع مار مرقس الى فلسطين وكان ذلك في النالب قبل نهاية سنة ٤٩ ب.م وسم اوینانوس اسقفاً على الكنيسة الجديدة ومدنه ثلاثة قسوس وبعة شامسة

وفي سنة ٥٠ ب.م اجتمع بطرس ومرقس في فلسطين ليحضران مجمع اورشليم . وبعد ذلك بقليل قصد برنبابا وبولس ان يجولا للتبشر والكرامة فطلب برنبابا من مرقس ان يرافقه في رحلتها وكانت نتيجة ذلك ما نعلمه من افتراق الرسلين وتوجه برنبابا مع مرقس الى قبرص والى هنا لا يذكر عنهم شيئاً في سفر اعمال الرسل ولكن يرجع كثيراً ان مار مرقس ذهب حيث الى القورينة (سيرين) ثم عاد ماراً بالحسن

(۱) قد يصعب فنبط هذا الاسم لاختلاف هجائه في عدة نسخ

مدن النزيرية الى الاسکندرية ويؤيد هذا الرأي بعض تلميحات وردت عرضياً في العهد الجديد وكذلك ما ورد في التواریخ المصرية من ان مار مرقس أنس خمس كنائس اخرى بين زيارته الاولى والثانية الى الاسکندرية ومن ضمنها كنيستي القرينة ولبيا
هذا ولاندرى اذا كان مار مرقس بارح الدیار المصرية مرة اخرى بعد ذلك ام لا . اما كونه توجه الى روميا مع مار بطرس فهذا اذا صح لا يمكن ان يكون الا في اواخر ایام ذلك الرسول . على ان المؤرخين القدماء باجمعهم لا يؤخذون من كلامهم عن مار مرقس سوى انه بقي في الاسکندرية منذ عودته اليها الى آخر حياته
ويقال انه في هذه الاثناء شيدت الكنيسة الاولى في الاسکندرية يمكن يقال له بوكايا واقع على شاطئ البحر وان بوكالي بهذه قد صارت فيما بعد ابروشية آريوس المهر طوق الاكبر . ولكن بعد كثيراً ان تكون الكنيسة التي استحوذ عليها آريوس هي التي بنيت في ایام مار مرقس لانه يصعب التصديق بمقامها بعد ان توالي الاضطهاد على المحبين مع هدم الكنائس وتخريب اماكن العبادة مدة الثلاثة قرون الاولى . اما سبب تسمية ذلك الموضع بوكاليا او بوكايس فهو على ما ذكره استرابو المؤرخ ان البقعة المذكورة كانت قبلاً مرصى للماشية ومن ذلك اشتقت اسم المكان
هذا ويوجد بين المؤرخين القدماء اختلاف في نحو ستين او ٦٨

فيما يختص بحوادث مارمرقس وقد تسبب عن ذلك اختلافهم أيضاً في تاريخ نياحته ولكن الأقرب إلى الحقيقة والارجح أن وفاته كانت في السنة الثانية من ملك نيرون اعني في أوائل سنة ٦٤ م ودليل ذلك أن عيد الآلهة سيرابيس كان يقع يوم ٢٥ إبريل من السنة وكان من أكبر الأعياد عند وئني مصر . فافق أنه في سنة ٦٤ ب. م وقع هذا العيد في يوم أحد ويقال أن مارمرقس جاهر وقىئذ بتقييم هذه العبادة وتحريم الاحتفال بالعيد باعتبار أنه عبادة وثنية فاهاج بذلك سخط الوثنيين في مدينة الاسكندرية وكان قد شق عليهم ما رأوا من سرعة انتشار الديانة المسيحية حينئذ وابتداء الفتنة بين المسيحيين والوثنيين في يوم السبت الذي يتلوه العيد فلم يأت مساء اليوم حتى قبض الوثنيون على مارمرقس وربطوه في عنقه بحبل وجروه وطافوا به في الشوارع المدينة إلى أن جاء الليل وخيم الظلام فاصدوه في السجن وهناك ظهر له ملاك الرب في رؤيا فقواه وشدد عزائمها . ولما أصبح يوم الأحد عاد الوثنيون إلى السجن فأخذوه مكتوفاً وطافوا به حول المدينة في موكب الآلهة سيرابيس إلى أن أسلم الروح وبموته انتهت آلامه ودفن في كنيسة بوكاليا ومن ذلك العهد كانت لا تتighb بطاركة الاسكندرية الاعلى قبره المجيد واستمرت هذه العادة متبعة قرونًا عديدة بعد ذلك

اما الكنيسة القبطية المصرية التي هكذا اسمها مارمرقس فقد حافظت إلى الان على نظماتها وطقوسها الاصالية أكثر مما حافظت آية كنيسة

آخرى من عهد مؤسساً إلى هذا اليوم فهى اذاً أقل الكنائس اختلافاً عما كانت عليه حين نشأتها . وفيها بقية سالمه المراتب الكنووية الثلاث متصلة بغير انقطاع إلى يومنا هذا وهي الاسقفية والقسوسية والشوشية غير أنها لسوء الحظ قد وقعت في الفتن الذي هوت فيه بقية الكنائس المسيحية وذلك أنها بعد بضعة قرون من عهد تأسيسها فرضت العزوبة على بطريركها واساقفتها بطريق الازام ولكنها لم تستطع ذلك عن القاعدة الاصالية إلى درجة تعميم هذا الازام على طبقات الاكيروس الصغرى كما فعل غيرها بل جعلت الزواج لهم سنة لاتزال مباحة إلى اليوم كا هي عند الاكيروس اليوناني ايضاً على عكس ما جرى عليه كنيسة الكنيسة الكنية وأكيروسها على وجه العموم ثم إن الكنيسة القبطية قد حافظت أيضاً من عهدهن شائعاً على الأسرار السبعة الكنائية ولكنها تشير أن اثنين منها فقط ضروريان للخلاص وها المعمودية والشهادة الرباني . على أنها في القرنين الثالث والرابع كانت على الدوام توجل عماد الاشخاص إلى الساعة الأخيرة من حياتهم . وتوجد إلى هذا اليوم عادات كثيرة في الكنائس الغربية منقوله في الأصل عن قدماء المصريين في عهد نشأة الكنيسة القبطية . فمن ذلك مثلاً حلة البيضاء (التونية) التي تلبس وقت الخدمة الكنائية فانما هي عبارة عن جبة الكتان البيضاء التي كان يلبسها كاهن ازيس . ومنها جز الشعر من وسط الرأس فقد كان ايضاً العلامة المميزة لكونه المصريين

القدماء، ومنها استعمال الخاتم في أكليل الزواج وكان المصريون القدماء يستعملون حلقةً من معادن مختلفة بدلاً من العملة قبل صك النقود فكان إذا عقد للرجل على امرأة البهاء ساعة العقد خاتماً من الذهب علامة على أنه من تلك الساعة جعلها شريكة له في زواجه فاستمرت هذه العادة عند المصريين بعد اعتناقهم الديانة المسيحية ثم نقلتها عنهم الكنيسة للسيجية برمته

والظاهر أن الصيامات دون غيرها من مخصوصات الكنيسة القبطية هي التي كثُر فيها التغيير عن الحالة الأصلية بيد أن هذا التغيير لم يطرأ إلا من حيث الزيادة في عدد الصومات وفي صرامتها وشدها أما القاعدة الأصلية بعض الطرف عن شعاعها فكانت تقتضي أن رجال الكنيسة بأسرها يصومون أربعين ساعة متواصلة من يوم الجمعة الحزينة إلى يوم أحد القيمة وذلك عبارة عن الزمن الذي يطبلون أن السيد المسيح نزل فيه إلى الجحيم. ولكن في أواخر القرن الثاني كان صوم الأربعين ساعة قد بدل باربعين يوماً في معظم الكنائس النصرانية ويقال إن الذي جعل الصوم الكبير في مصر أربعين يوماً هو أبا ديمتريوس الذي رسم بطريركاً الاسكندرية سنة ١٨٩ ب.م. على أن الكنيسة المصرية قد توسيت في أصومها تدريجياً بعد ذلك حتى أصبحت وهي تصوم الان أكثر من نصف السنة تقريباً واليك البيان: أربعون يوماً قبل عيد الميلاد وخمسة وأربعين يوماً وهو الصوم الكبير قبل عيد الفصح وكثير

من الناس يصومون أيام الآحاد من تلك المدة فتباع بذلك خمسين يوماً ثم أربعين يوماً مد الحسين وهو المسى بصوم لرسول الله ثم ثلاثة أيام في فصل الربيع وهي المروفة بصيام نينوى أو يونان وخمسة عشر يوماً في شهر أغسطس وهو صيام المذراء ثم يوم الجمعة من كل أسبوع نهاية السايم التاسعة. هذا على أن الصيام عند المصريين ليس في الحقيقة بالامر الهين الذي يستخف به فائهم لا يقتصرون فيه على الامتناع عن اللحم والسمك بجميع انواعهما فقط بل يتعمدون أيضاً عن اللبن والبيض والسمن والزبدة وكل ما يعتبر ذو حياة حيوانية من الكائنات عموماً ولذا تكون أغذتهم مدة صومهم قاصرة على انواع الفاكهة والبقول النائية أو المطبوخة بالماء أو بالزيت والارز والخبز البسيط وباقى الاطعمة الشوية. وبعض العادات لا تأكل شيئاً الا الساعة الثالثة بعد الظهر في أيام الصيامات. وفي بعض اقاليم مصر يخرب البعض منهم الخبز في أول الصيام دفعه واحدة فقط فيبلغ من الجفاف والصلابة ملماً بحيث لو وضعت شيئاً منه في اللبن الساخن مسافة نصف ساعة لما لاز بعض اللبن. وكثيراً ما خارت قوى الشعب واضطاجم المزال لطول مدة الصوم حتى لقد يمس على الواحد منهم أن يقوم حيث يجد جميع اعماله المعتادة. على أن القبطي فضلاً عما ذكر لا يحل له أن يأكل في المساء ما لا ذ من الطعام كما يفعل المسلم الذي لا يصوم من سنته كاماً سوى ٢٨ يوماً يقضي فيها نهاره على الاغلب نائماً وليله آكلـا شارـاً ولذا لا يبعد إن

تكون نتيجة هذه الصيامات الطويلة القاسية من جملة الاسباب التي اضفت عنم الاقباط وحطت من قواهم حتى لقد مضت عليهم الى الآنة ون عدید قلم يشنوا فيها غارة واحدة دفاعاً عن حرثهم واستقلالهم ثم انه من المؤكد بعد البحث ودقة التحري انه في القرن الاول لم يكن بين المسيحيين في مصر رهبان ولا راهبات . غير انه في منتصف القرن الثاني اقتبست من الديانة الوثنية المصرية عادة العيشة الانفرادية والخلوة لاجل التنسك والضرع والصوم والصلوة عوضاً عن اتمام مواجب الحياة الطبيعية ثم انتشرت هذه العادة من مصر الى العالم المسيحي باسره تلك هي حالة الكنيسة القبطية التي اسها ما مرقس وظللت عليها في البأس والضراء تقاضي الشدائدين والضيقات وتحمل المظالم والاخطاء حتى يومنا هذا حيث يرها الوافدون الى مصر من الغربين لهذا العهد فتجاهلون وجودها تارة او يهزؤن بها طوراً نظراً لما آلت اليه من الهوان والذلة . ولكن مهلاً فترى فيها بلي من صفحات هذا الكتاب تاريخاً يزري بتواريخ اعظم الكنائس المسيحية مقاماً وشأنه وسيأتي يوم فيه يجلس رئيس الكنيسة للقضاء بحسب عدله لا بحسب فكر الانسان وفي ذلك اليوم يسمع قوله « ويكونون لي قال رب الجنود كل الذين يخافون اسمي في اليوم الذي اجمع فيه جواهري »

الفصل الرابع

﴿ بطريرك واحد وبعة في مصر سنة ٦٢ ب.م ﴾

هذا هو الثاني من بطاركة الكرسي الاسكندرى واسمه ايانوس وغاية ما ينتنا عنه التاريخ انه اخلف مار مرقس على كرسى الاسكندرية سنة ٦٢ ب.م وساس الكنيسة بحكمه وفترة مدة ٢٢ سنة وفي اثناء رئاسته تولى على العرش الامبراطوري الروماني سنه امبراطرة على التابع وهم نيرون الظالم (وكانت وفاته بعد ست سنوات من تاريخ تولى ايانوس كرسى البطريركية) ثم جالبا او ثيووفيليوس وفسبيريان ونيطس ودومتيان وكان الوالي الروماني على مصر في سنة ٦٢ ب.م بابيليوس الذي اخلف طيباريوس اسكندر منذ سنة ٥٦ ب.م والظاهر انه كان ذا اعتىة واهتمام باسر البلاد التي عين حاكماً عليها من قبل الملكة الرومانية . فإنه ألف تاريخاً للديار المصرية ولكن عبّثت به ايدي الضياع ولم يبق منه الا نسخة لاحظ شيء . وقد اخذن ديونيسوس المؤلف الشهير الذي كان مديرآً لدار الآثار المصرية وزيرآً له . ولكن يظهر ان بابيليوس لم يكن مع ذلك بحسباً من المصرين بدليل ان الامبراطور جالبا الذي تولى الامبراطورية بعد نعيون عزله على الفور وعين مكانه طيباريوس بوليوس اسكندر ابن

اسكender الوالي الاسبق وابن اخ فيلو اليهودي (انظر الفصل الاول) فكان طياريوس وانيانوس متحدين من حيث الجنسية والوطن غير ان الاول كان على ما يظهر قليل التشك بدينه اليهودي كما كان ابوه من قبله . ويوجد لهذا العهد بالواحة الكبرى نقوش خلدت ذكرى المنشور الذي اصدره طياريوس هذا الرفع ما كان يشقى كاهل المصريين من المظالم والمغارم التي كان قد فرضها عليهم نيرون . فمن ذلك تأكيد هذا الوالي لرعاية المصريين بعدم اكراء احد منهم في المستقبل على قبول وظيفة التزام الخراج في الاقاليم وعدم الغاء البيوع بحججه مدعيونية المشتري للحكومة الامبراطورية وابطال عادة سجن الاحرار من الرعية بسبب عدم الوفاء بدين على احدهم لا آخر ما لم يكن المدайн هو الحكومة او الحزينة الاميرية اما بالنسبة لهذا المنشور فكانت كغيره من الاوامر والمنشورات اللغة اليونانية وهو امر يدل دلالة واضحه على انه بالغنم عن تسلط الرومان على مصر كل هذا الزمن لم يعتراها ادنى تغيير عما كانت عليه قبلهم فلم تكتب اللغة اللاتينية ادنى شيوع بين المصريين ولا اقتبسوا هم شيئاً من العوائد الرومانية ولا يعني ان هذا من الغرابة بمكان . غير ان اذا دققنا النظر في ذلك نجد ان تلك المملكة الرومانية العظيمة التابعة لها مصر لم تكن رومانية الا بالاسم فان القياصرة الاول الذين كانوا رومانين حقيقة لم يهمهم من امر مصر سوى ما يتعلق بتوسيع اقطاع خراجها ثم ان عرش المملكة اصبح من بعد القرن الثاني هادفاً لاطماع

ذوي البأس من اخلط مختلف الجنس من يونان وافريقيين وبربر وسورين لا يعنهم طبعاً شأن رومية الا باعتبار كونها مظهراً خارجياً لرونق ملكهم وشوكه افتخارهم . هذا وسيظهر لك فيما يلي ما كان لتأثير عاصمة الملكة الرومانية من التأثير على الملكة عموماً والقطر المصري وبالاد الشرق خصوصاً
اما اوثو وفيفيليوس اللذان تعاقباً على كرسى القياصرة بعد جالبا فلم يتراكا اثراً يذكر لهما في مصر لقصر مدة حكمهما . وكان فسباسيانوس الذي خلفهما يحارب حينئذ كقائد في فلسطين فقسم على ان يكون قيصر اولاً الى طياريوس اسكندر والي مصر يقول له ان الجيش هنا قد يابعني الامبراطورية فهل لي ان اعتمد على عضدي في هذا الامر وعلى يده الجندي في مصر . فلبى طياريوس الطلب على الفور واقربت مصر بالامبراطورية لفسباسيانوس بالاجماع مع علم اليهود فيها بالحرب العوان التي كانت قائمة وقتئذ بينه وبين ابناء جلدتهم في فلسطين وتنكيل بهم اشد تنكيل ولعل في ذلك ما يوجب الاستغراب . على ان يوسيفوس المؤرخ اليهودي الشهير الذي دافع عن يوباطا (احدى مدن فلسطين) دفاع الابطال حين محاصرة الرومان ايها – كان قد اصبح بعد سقوطها في يدهم من اخص اتباع فسباسيانوس واعظمهم تمسكاً بعروة الاخلاص والولاء له وبقي فسباسيانوس مدة في بيروت استراحة في ائتها فلسطين

من اوضاع الحرب والجهاد حتى ورد اليه البناء المبشر بان القائد الذي ارسله الى رومية لكي يستلم زمامها بالنيابة عنه قد تم له الامر على ما يشمي ويختار . فبارح اذ ذاك بيروت قاصداً مدينة الاسكندرية للإقامة بها بعض الزمن صارفاً نظره عن رومية موقتاً اعتماداً ولا شك على وجود ابنه دوميتيان بها وقيامه مقامه في ادارة الاحكام . فلما قدم فسباسيانوس الى الاسكندرية هرع علماً وها وحكاماً لمقابلته بكل مظاهر التعظيم والاجلال وكان بالاسكندرية يومئذ ثلاثة من مشاهير الفلاسفة وهم يوفراطيس الافلاطوني وديون الملقب بقلم الذهب وابولونيوس الفيثاغوري الشهير الذي وضعه فيلوستراتس في مصنف الانساني والمرسلين في الرسالة التي كتبها تاريخاً لحياته بعد موته وشبهه فيها ظاهرياً بفيثاغورس الفيلسوف ومراده في الحقيقة تشبهه بالسيد المسيح نفسه كما لا يخفى على من امعن النظر فيها ولا حظ الفرض من تأليفها على نسق الانجيل المقدسة وكان ابولونيوس ملازمَاً للقيصر فسباسيانوس طول مدة اقامته في الاسكندرية وخدمه خدمات جليلة باسمه قاوب الاسكندرية اليه الى درجة انهم اصيروا يعتقدون فيه القدرة على شفاء الامراض ب مجرد لمس المريض كما كان الجاهليه يعتقدون في ملوكهم قدِّما . فقد روی تاسيتوس المؤرخ ان رجلين احدهما كنفيف البصر والآخر اكتنع اليد طرحاً نفسيهما تحت قدمي فسباسيانوس وهو سائر في احد شوارع الاسكندرية متوجهاً اليه ان يلمسهما حتى نلامنه الشفاء . فسخر

القيصر بهما أولاً غير أن مارآه من تظاهر اطباء الاسكندرية حيث
من مشاركتهم العامة في هذا الاعتقاد حمله على اجابة الطالب والظاهر
ان عمليته لم تخوب اذ قد شهد اصدقاء الامبراطور ان الرجلين شفيا
بهذه الوسيلة

وكان فسباسيانوس يتظاهر بشدة الميل الى ديانة المصريين فلم يتأخر
عن زيارة هيكل معبد هرم سيرايس واستطلاع انبائه عن مستقبله ومستقبل
ملكته وعلق كثيراً بالاسكندرية فكث بتها بضعة شهور بعد ما انفذ ابيه
تقطن الى فلسطين ثانية لانهاء الحرب مع اليهود ولكن اهل الاسكندرية
كانوا سريعي التقلب فلم تدم محبتهم لفسباسيانوس طويلاً لا سيما وقد
أقل الرجل كاهليهم بالضرائب عوضاً عن ان ينذر عليهم الانعامات كما
كانوا يأملون منه . ومتما زاد الطين بلة انه مررت طالب صاحباً له بدين
كان قد وفا به فذاع خبر ذلك في المدينة حتى بلغ من بعض الدوام
ان اخروا الامر موضوعاً للنهرم والى سخرية به فلما علم فسباسيانوس
بما كان من ذلك استطاعت غيظاً وحنقاً وامر في الحال بضرب جزية قدرها
ستة افلانس (وهو مقدار الدين الذي كان له) على كل فرد من اهل
المدينة تأديباً لهم على هذه الجرأة . بيد انه لم يلبث ان صفع عنهم
اجابة لتوسلات ابيه تقطن الذي كان احسن منه سياسة وتدبرها ولكن
هيئات ان تعود بذلك محبة الشعب الى ما كانت عليه اولاً فرجل فسباسيانوس
عقب ذلك الى رومية ولم يتنقل نهاية الحرب في فلسطين كما كان ينوی

فلا كان فصل الخريف من سنة ٧ ب.م وردت الاخبار بعد طول الانتظار منتهي بسقوط مدينة اورشليم . وقد بلغ عدد الاسرى الذين اخذوا من اليهود بسقوطها ٩٧ الف نسمة سبعة سبعة جميعهم ارقاء ليعملوا في معادن مصر بالاخص . وكان لسير هذا الجيش الكثيف وراء يطمس الغافر منظر تفطر له الاكباد لا سيما وقد تبعهم العدد الغفير من سكان اورشليم العبيدة حيارى ذلاء بلا مأوى ولا زاد يتنون ملجاً وملاذا بارض مصر آملين أن يتقيا هنالك في خلل اخواتهم الاغنياء ومن ذلك المهد أخذ اليهود في الهجرة من بلادهم الى مصر افواجاً افواجاً ولكنهم لم يلبوا زاقلة واباعالم خواطر يهود الاسكندرية الذين باتوا في خوف على انفسهم منهم بما اناروا من الشعب والهياج على الحكومة الرومانية والمجاهرة بتعنيف اخواتهم المصريين على خضوعهم لها واستسلامهم الى سلطة القيصر صاغرين وحضمهم ايام على القيام للحرب والكفاح دفاعاً عن حرتهم ووطنهم الذي اصبح قاعاً صفصفاً . ولا بدع اذا كانت الدعوى الى هذا الجهاد لم ترق في اعين اليهود مصر الاغنياء المترهفين لما يعلموه من انهم يكونون هم الخاسرين على كل حال بلا محالة اذا اشرروا راية العصيان ولذلك لما رأوا تفاقم الشر من اولئك المهاجرين (وكانوا يلقبونهم بالاشقياء) عقدوا جمعية من اكبر اليهود الاسكندرية قرروا فيها ان راحتهم وسلامتهم توقفان على القاء القبض على هؤلاء المحرضين وتسليمهم ليد الحكومة حتى بذلك ينفوا عن انفسهم

شبهة الاتحاد بهم على ما ينوون من العصيان والثورة . وببناء على هذا القرار قبض على نحو ٦٠٠ نفس دفعه واحدة من هؤلاء المتفانين في حب وطنهم بعد ان هرب منهم خلق كثير الى الاريات امك معظمهم في ما بعد وأعيدوا الى الاسكندرية حيث اذيق الجميع انواع العذاب لكي يخلعوا بين الطاعة والولاء للامبراطور فسبسيانوس ولكنهم رفضوا ذلك باجمعهم حتى الاطفال منهم مفضلين الموت على فقد الاستقلال والحرية وهكذا قتلوا عن بكرة ابيهم . والظاهر ان هذا هو السبب فيما يشير اليه المؤرخون المسيحيون الاول بقولهم أن مدة رئاسة البطريرك اليانوس لم تكن مدة سلام وأمان وان كان هؤلاء المؤرخون لم يذكروا ادنى تفصيل عما كان له من الشأن في اثناء تلك الاضطرابات والقلاقل على ان هبيب الثورة بين اليهود اندلع وقتل بسرعة حتى وصل ايضاً الى القورينة حيث قام رجل حائط يدعى يوناثان مناديًّا فيها بالحرب لانقاذ الوطن محرصاً على ذلك الطبقة الوسطى من ابناء جلدته دون الاغنياء على ما قاله يوسفوس المؤرخ . فلبي كثير منهم دعوه وسار في جيش منهم كثير العدد ولكنه قليل العدد قاصداً ديار مصر معتمداً على معاونة سماوية تأتيمهم فساعدتهم على الفوز في مشروعهم . غير انهم لم يكادوا يبحرون حدود القورينة حتى افتشي اخواتهم الاغنياء سرهم الى كاتلوس والتي هذه المقاطعة عدراً وخيانة منهم فاقتني هذا اثرهم على القور الى ان ادركهم فهزهم شر هزيمة وفرقهم ايدي سبا . وقد عني الوالي عن قتل

يومان المذكور زعيم هولا، التائرين ولكن على شرط ان يوح له باسمه اليهود الذين وعدوه بالانضمام اليه حينا يتم له الامر. فكماشهه يونانان باسمه عدد كبير من ائمني وأقوى رجال اليهود في القورينة والاسكندرية ورومية. ولا ندري اذا كان فعل ذلك وفا، بالشرط على ما تقتضيه الذمة او رغبة منه في الانتقام لنفسه ممن خانوه وغدروا به. من ابناء ملته وعلى الحالتين كانت النتيجة ان ثلاثة الف رجل من اغنياء اليهود في القورينة فقط سيفوا للذبح بلا تحنيق ولا بحث بباب هذه الحادثة وصودروا في املاكم واموالهم حبها رواه يوسفوس اما بقية من اباح باسمهم يونان من اليهود الاسكندرية ورومية فقد رفع كاتلوس امرهم الى الامير اطهور وكانت عاقبتهم ذلك انه اصر لحال بفضل هيكل اليهود في مصر وان لا يسمح لهم باقامة العبادة الملبنة فيه وبذلك كسرت شوكتهم وخفضت كبرياتهم الى الخضيض وقد كان هذا هيكل اشارة الفخر والاعجاب لديهم مدة ٣٣ سنة ينافسون به هيكل اورشليم القديم الذي خرب بمحابها. فد الدهر اليه يده بالاذى قباد نفرهم بعصر كما انه تناول باليد الاخرى بقية مجده اخوانهم اليهود فلسطين حتى اصبح الاريقان سواء في الذل والهوان. ومن هذا الحين تجرد اليهود عن امتيازاتهم الوطنية فلا وان لم يجردوا منها شرعاً فصاروا امثل المصريين الاصليين في معاملة الحكومة لهم. وكان هيكل اورشليم قد صيغه نيطس بحيث لم يبق فيه حجر على حجر كذلك

هيكل اوانياس قد اصبح ومكانه الان افتراما كان يوم قال الملائكة طلب وس فيلومتر لا اونيس نفه، عليك بازالة تلك الاطلال الباقيه من هيكل ليونتو بوليس حتى تبني هنا ملك ما تريده، يعني يبني هيكللا لليهود وهو الذي نحن بصدده. ولم يبق من آثار هذا الهيكل للآن سوى آكام من التراب قائمه في وسط تلك الاراضي الخصبة تشوه نضاره وجهها وجمال منظرها وهي محاطة بمجدaran سوره المزدوج لم تزل قائمه على ارتفاع قليل من سطح الارض المجاورة لها وبها من قدمين الى خمسة اقدام عمقاً من الشقافة وقطع الخزف اما الاحجار فقد اخذها المسلمون على مرور الايام والسنين حتى لم يبق منها حجر واحد وانما يبقى اثر ذلك الهيكل المصري القديم الذي كان بناؤه من عهد رعميس الثالث وهو عباره عن كتلة كبيرة جدا من الصوان مع قطع من المرمر الابيض شوهدت في ذلك المكان سنة ١٨٩٣ ب. م . غير انك اذا ذهبت الان الى ذلك الكنيب القائم في تلك الاراضي الزراعية حيث يتطارى المهددين بين الانلام والحزون وحيث اللقلق الناصع البياض يتختز بين الخضراء الراخراخة - لرأيت مركبات النقل التي حللت الان محل الجمال تندوا وتروح مشحونة بنفس تلك الشقافة الباقيه ذاته بها الى حيث تسحق لتسخدم في بناء اماكن ودور جديدة بحيث لا يبقى بعد قليل من الزمن ادنى اشاره او علامه على هيكل اوانياس المار ذكره اما حالة المصريين الاصليين في عهد فسباسيانوس ويتبعن فصارت

إلى أحسن مما كانت عليه قبلها وذلك بحسن إدارتها وعنتها بتنويع
أهالي المراكـة . فند ذهب يطـس بنفسه إلى ميفيس في موـكـة الرسـيـ
لحضور الاحـفال بتـكريـس انـثـورـابـيس لما عـزـمـ المـصـرـيـونـ علىـ اـقـامـتـهـ مـعـبـودـاـ
بعـدـ سـلـفـهـ المـتـوفـيـ . وـقـدـ تـمـ فيـ اـنـتـهـ مـلـكـ فـيـاسـيـانـوسـ بـنـاءـ هـيـكلـ يـفـ
الـنـخـيمـ بـعـدـيـةـ لـاـ قـوـبـولـيسـ (ـاسـناـ)ـ بـعـدـ انـ عـمـلـ فـيـ العـامـلـونـ مـدـةـ مـئـينـ
مـنـ السـيـنـ كـاـ هيـ العـادـةـ فـيـ بـنـاءـ الـهـيـاـكـ الـمـصـرـيـةـ . وـقـدـ جـاءـ هـذـاـ الـأـثـرـ
الـجـمـيلـ مـحـاكـيـاـ بـخـاتـمـهـ وـحـسـنـ زـخـرـفـهـ اـفـضـلـ الـمـبـانـيـ الـتـيـ شـيـدـهـاـ الـمـصـرـيـونـ
فـيـ عـهـدـ وـصـولـ فـيـ الـعـارـةـ وـهـنـدـسـهـ فـيـ الـكـعـالـ حـنـدـهـ وـقـدـ خـرـفـ اـسـمـ
فـيـاسـيـانـوسـ فـيـ الـحـصـصـ لـذـكـرـ الـمـعـبـودـ الـذـيـ بـنـيـ الـهـيـكلـ عـلـىـ اـسـهـ
فـوـقـ وـاجـهـ الـبـابـ

رواد النيل في القرن الثاني - سنة ٩٨ بـ . مـ

تـولـيـ الـكـمـ بـعـدـ دـوـمـيـاـنـوسـ الـإـمـبرـاطـورـ تـراـجانـ وـكانـ فـيـ اوـائلـ
حـكـمـهـ مـشـغـلـاـ جـداـ بـاحـوالـ اـورـوباـ وـمعـ ذـلـكـ تـمـ فـيـ عـهـدـهـ مـشـروـعـانـ
خـطـيرـانـ فـيـ مـصـرـ اوـلـهـماـ تـجـديـدـ الـخـلـيجـ الـبـطـلـيـمـيـ الـذـيـ يـصـلـ الـنـيـلـ بـالـبـحـرـ
الـاـحـرـ وـكـانـ قـدـ اـهـمـ وـانـهـارتـ جـوـانـهـ فـرـمـمـهـ تـراـجانـ وـزادـ فـيـ طـولـهـ
كـثـيرـاـ حـتـىـ اوـصـلـهـ إـلـىـ بـاـيـلـوـنـ بـعـدـ مـرـورـهـ بـعـدـيـةـ عـيـنـ شـمـسـ . وـلـاـ رـيبـ
فـيـ اـنـهـ هـوـ الـخـلـيجـ الـحـالـيـ بـعـيـنـهـ وـاـنـمـارـمـ مـرـةـ ثـانـيـةـ وـزـيـدـ فـيـ طـولـهـ قـلـيلاـ
(ـنـظـرـاـ لـتـحـولـ الـنـهـرـ عـنـ مـجـاهـ)ـ فـيـ عـهـدـ الـفـتـحـ الـإـلـاـمـيـ . وـالـمـشـروعـ
الـثـانـيـ بـنـاءـ قـلـعـةـ بـاـيـلـوـنـ الـعـظـيـمـ وـهـيـ الـمـعـرـوـفـ بـقـيـاـهـاـ الـآنـ بـاسـمـ قـصـرـ الشـمـعـ
وـهـوـ لـهـذـاـ الـعـهـدـ يـشـتـملـ عـلـىـ سـتـ . نـاقـصـ الـكـنـائـسـ الـمـيـجـيـهـ بـالـقـاهـرهـ .

اما عند انشاء القلعة فلم يكن داخل اسوارها الا كنيسة واحدة وهي المعروفة الان بابي سرجة . هذا وللاحظ القاري ، ان قلعة تراجان هذه هي غير القلعة القديمة التي ذكرها استرابول المؤرخ وكان موقعها الى الجنوب من قصر الشمع بالقرب من دير بابيلون الحالى ولا حاجة هنا الى ذكر الرسائل التي دارت بين بليني الاديب الروماني والامبراطور تراجان عن احوال المسيحيين في ذلك العصر اذ لامس لها بسيحي مصر فضلاً عن ان شهرتها تبني عن الذكر . اما سياسة تراجان مع المسيحيين فكانت غالباً سياسة تساهل وتسامح غير ان استشهاد القديس اغناطيوس اسقف انطاكية في ايامه يعتبر نقطة سوداء في تاريخه . وفي السنة الثامنة عشرة من ملك تراجان عادت المذاقات والمائات بين اليونان واليهود في الاسكندرية وتفاقم الخطب حتى آل الامر الى قيام اليهود عموماً على الدولة الرومانية واصدار هرایة المصييان عليها في مصر وقورينه خاول لوپوس الوالي الروماني ان يقمع ثورتهم فلم يتغلب على الثائرين وكانت تحت قيادة رجل يدعى لوکاس من يهود قرية فبيت بهذا الاقليم مدة ستين يحارب الرومان ويعيشون في الارض فساداً حتى اصبحت هذه المقاطعة الاسيفية تئن من اهوال تلك الحرب الداخلية الى أن اندلعت الامبراطور اخيراً القائد مارسيوس توربو بجيش جرار الى مصر لمحاربتهم وبعد قتال عنيف جرى في عدة مواقع انتزם اليهود شر هزيمة وقتل الوف منهم وجروا عقيب ذلك من امتيازاتهم الوطنية تجريداً

شعراً وبذلك ضاعت آمالهم وخابت احلامهم فيما كانوا يتظرون من عودة الملك اليهم ومن ذلك العهد أصبحوا يعتقدون الديانة المسيحية افواجاً افواجاً

وبعد هذه الحرب الاصلية بعدها وجيزة مات الامبراطور تراجان وخلفه ادريانوس الذي شرع في السنة الرابعة من ملوكه يطوف الولايات الرومانية متقدماً بنفسه جمع ابناء مملكته . فلما حل ركابه الامبراطوري القطر المصري سار صعداً في النيل وممه انطينوس صديقه الحميم وهو غلام اوربي ذو جمال باهر . واتفق ان انطينوس لاقى منتهته في اثناء هذه السياحة النيلية ولم تعرف الى الان اسباب وفاته الحقيقة غير ان الرواة يزعمون انه قدم نفسه بالختياره ضحية عن سيده ومولاه الامبراطور وتفصيل ذلك انه في اثناء عودة الموكب الامبراطوري من الوجه القبلي رأكياً تلك القوارب النيلية مزدادة بالزخارف والاعلام وفيها اجواف الموسيقى تعزف بتناثرها الشجية المطربة وبها من دواعي الحفظ والانس ما يشرح الخاطر ويسر الناظر – كما حصل في احتفالات الملوك والعظاء في النيل قبل ادريانوس وبعدة بالآف من السنين – نفاج الامبراطور شيء من الخوف والكآبة وهو محاط بباب سرور والجبور الآسف ذكرها كانما حدثه نفسه ان سروره وشجرته قد بلغا درجة عظيمة قد تستوجب حمد الآلهة له عليها وأنه لا بد لسكنين تأثيرها من تقديم ضحية مهمة ترضيها والا حل به الحراب والدمار عاجلاً . ففكرا انطينوس الذي كان

يحب مولاه حباً يرخص منه كل غال وفطن بفراسه إلى سبب حزن
سبده مما رأه من خوفه واضطرب به فسار في الحال إلى أعلم ما خطر باله
بان التي بنفسه في النيل معلناً أنه لما كان على يقين من أن منزلته عند مولاه
فوق كل شيء هانت عليه الحياة حباً بدوام سعادة ذلك المولى . هذا ومعلوم
عند قراء التاريخ ما صاب أدريانوس من المزن المفرط لموت حبيبه وكيف
أنه أصدر أوامر بوجوب اعتباره بمنزلة الآلهة وقد امس مدينة في
المكان الذي بذل أنطينوس نفسه فيه لا جله وسماها مدينة أنطينوس
تذكاراً له وهي التي صارت بعد تذكرة عاصمة لصعيد مصر أما الآن فلات
حملها قرية صغيرة تدعى البرشا (بديرية المينا) . وقد اطلق أيضاً اسم
أنطينوس على نوع من زهر البردي المصري أكتشهن وفتش الشاعر
بنكراتيس الاسكندري وقدمه للإمبراطور عند رجوعه من سياحته
وهو يمتاز عن الزهر المعروف لهذا النبات بكونه وردي اللون ليس
بالازرق ولا بالابيض . ومن كان بالاسكندرية من مشاهير الكتاب
في ذلك الوقت غير بنكراتيس السالف الذكر أبو لوزينوس ديسكواوس
التحوي وكانت له مؤلفات عديدة ضاعت كلها تقريباً ولم يبق منها
 سوى مجموعة في أداب المصريين وأخرى تشمل على حكايات خرافية
 ومنهم إبيان المشرع الروماني الشهير وكان قد صرف عدة سنوات
في رومية ثم كتب تاريخاً رومانياً بعد عودته لوطنه

وفي سنتي ١٣٢ و ١٣٣ ظهر يهودي آخر اشتهر باسم البار كوشبا

(ومعناه ابن التجم أو كما فسره بعضهم ابن الكذب) ورفع راية العصيان
على الحكومة الرومانية في فلسطين وصادف عمله بعض النجاح في أول
الامر فسار للانضمام إليه جيش من يهود مصر وليسا ثم اشتباك القتال
بينه وبين تينيوس روفوس الروماني والي اليهود واستظرر عليه العصاة
فاستدعت الحكومة الرومانية القائد سفيروس من بريطانيا لحاربته
وأجرت بينهما حروب دموية استمرت نحو أربع سنين وأنجلت أخيراً
عن انهزام العصاة وتبديد شتمهم
وفي سنة ١٣١ ايضاً زار أدريانوس مصر مرة ثانية ورافقته في هذه
الزيارة امرأته الملكة سابينا ومعها زمرة من نساء الامراء وعقيلات
ال PRIA واعيان وركب النيل معهن مرة أخرى اجابة لآلام الملكة
سابينا منه الفرجة على تمثال ممنون الشهير بصوته الموسيقي وهو أحد التماثيل
الهائلة التي بصراء مدية شيده الملك . امو نحوت الثالث في هيكل خاص
لم يبق شيء من آثاره الان لم يتم قدمه . فلما زارت الملكة ذلك المكان
رأرت التمثال في حالة ارداء مما هو عليه الان نصفه الاعلى ساقطاً ملقى على
الارض قطعاً ولم تسمع ذلك الصوت يخرج من شفتيه اذ وقفت بجانبه
يحف بها اعضاء معينتها متضررة حدوث هذه العجيبة وقت شروق الشمس
على التمثال . غير ان مجرد اظهار استثناء الامبراطور من الكهنة بهذا الشأن
كان كافياً لصدور تلك النعمات الموسيقية الرخيمة من التمثال في صباح
اليوم الثاني وتنشيف آذان الملكة واتراها بسماعها . وقد نقش عدة من

في معية الملكة اسماء هن على قاعدة التمثال كايفعل السياح اليوم . وكتب أحداهن هي جوليا باليلا (ابنة كلاوديوس باليلوس الذي ولـ مصر في عهد نيرون وألف تارنخا لها) اياتا من الشعر على اسفل التمثال ذكرت فيها أنها الذي يتصل بالطيوخوس ملك كوماجين (احدى مقاطعات سوريا) وزيارتها الشيبة مع الامبراطور وفريته . ومكث ادريانوس هذه المرة بمحضر نحو اربع سنوات كانت اكثرا اقامتها فيها بالاسكندرية . وفي اثناء زيارته المرة الاولى لمصر (سنة ١٢٢) توفي البطريرك بريموس واخلفه يسطس الذي قيل انه احد الذين عمدم مار مرقس وكانت زيارة نياحة قبل زيارة ادريانوس الثانية لمصر سنة واحدة وخلفه على كرسي البطريركية يومينيس وقلما يعرف عنه شيء

ومن الاشاعات المتواترة ان المسيحيين في الاسكندرية ذاقوا اعداب الاضطهاد مدة حكم تراجان ثم في عهد ادريانوس ايضا غير اننا لم نشر على ما يؤيد ذلك في التواريخ التي يوثق بصحتها ولكن من المحتمل كثيرا ان من المسيحيين من اضطهدوا باعتبار كونهم يهودا في ايم العصيان الذي حصل مدة هذين الامبراطورين حيث كان ينظر اليهم غالبا في القرف الاول والثانى كانوا شيعة يهودية متطرفة يخشى شرها . وفضلا عمما قدم فقد كانت مصر على الدوام مصدرا للهرطقة من ذوي العقول المضطربة حتى انه في مدة زيارة ادريانوس لمصر المرة الثانية كانت القسمات المسيحية وتعدد مدارسهم بالاسكندرية قد وصلت الى درجة

يلتس معها العذر لذلك الامبراطور فيما وقع فيه من الابهام وسوء الفهم بشأنحقيقة امر المسيحيين والدين المسيحي . فقد كان كربوكرياتيس وباسيليس وفالنتينيان وجميعهم مصر يتوهمون وفتش في الباس القواعد الدينية ثوب المجاز والرمز مجتمدين في اذاعة تعليمهم ومذهبهم بالاسكندرية . نعم قد عد هؤلاء الثلاثة بعد موتهم من الهرطقة ولكن لا يوجد برهان صريح على أن الكنيسة حكمت على أي منهم بالهرطقة في اثناء حياته وربما كان ذات لانهم كانوا يؤمّنون بالحقائق الجواهرية في الديانة المسيحية وانما انهم كانوا يحاولون منزج اسرار الديانة الوثنية المصرية وغواصي دموزها بقواعد الاعان المسيحية البسيطة . ولا ريب في انه قد كان الاولى بهم عدم التعرض للخوض في مباحث التوحيد والتثافت وامر خلق العالم وتركيه وما اشبه من المطالب العویضة بل حبذا لو امكن تخصيص الاشتغال بمثل هذه المسائل بن تدرّبوا على مزاولتها فقط من ذوي الفكر السليم الذين حصلوا على التربية المؤهلة لذلك كما كانت العادة عند كهنة المصريين القدماء على ما ارشدتهم اليه حكمتهم ونجابتهم . على اتنا لانخال ما يبلغ ادريانوس من امر الدين المسيحي لذلك المهد الا نتيجة افكار هؤلاء المتطفلين كما يظهر من الخطاب التالي وهو بنصه (١) : -

من ادريانوس قيصر الى سرفيانوس القنصل - سلام

(١) يعزى بعضهم هذا الخطاب لغير ادريانوس ويقولون انه كتب قبل هذا الاوان بقليل

«اما بعد فان مصر التي اطئت لي في مدحها ايها المزير قد وجدت اهلها على درجة عظيمة من الحفة والطباشة وقلة الحزم يصدقون كل ما يقال ويظرون مع كل ريح تهب . فالذين يعبدون سيرابيس مسيحيون والذين يدعون انفسهم اساقفة ^(١) المسيح عبد لسيرابيس . وانك لا ترى رئيساً للهود او سامراً او شيخاً للمسيحيين الا كان رياضياً ورعاً ومشعوذآ . بل ان البطريرك نفسه لما جاء الى مصر ^(٢) قال عنه بعضهم انه يعبد الاله سيرابيس وقال آخرون انه يعبد المسيح . اما المعمري من حيث طباعه فهو مثال الى المتابغات والفتنة غير حقوه اما من حيث مجموع افراده فهو شعب وافر الثروة آخذ بباب النجاح فلما ترى فيه رجالاً عطلاً عن عمل يرتقى منه ما يقوم بمحاجة معاشه . وبعضهم يصب الزجاج وبعضهم يصنع الورق وبعضهم ينسج الكتان وهلم جراً بحيث انك ترى الاعرج والاعمى حتى الاكتع منهم يشنلون او قاتهم فيما يلامس احوالهم من الاعمال الصناعية هرباً من الكل والبطالة . اما المهم فهو « لا شيء » وهو الذي يعبد المسيحيون واليهود وكل الامم على السواء . وانني لا تمني لو كان هذا الشعب أطيب اخلاقاً مما ارى كما هو شأن الانزاد في امة كبيرة كثيرة المدد كلامة الصرية يجدر به ان تكون صاحبة المقام الاول في بلادها . اما انا فقد منحهم كل شيء ووردت

(١) لم يكن في مصر اساقفة غير البطريرك الى زمن ديمتريوس اما الذين كانوا تحت يد البطريرك فكانوا كهنة وشمامنة فقط ولكن لغير الكيف الكهنة الذين كانوا مع البطريرك في الاسكندرية كان لهم امتيازات خصوصية كما هي عادة الذين يخدمون في الكنائس الكبيرة .
(٢) يعني لما ذهب الى مصر قاطبة تغيراً لها عن مدينة الاسكندرية

اليهم امتيازاتهم القديعة بل زدتهم عليها زيادة تذكر بالشكر » اه على ان ادريانوس قد صار فيما بعد اعرف كثيراً بحقيقة الدين المسيحي مما كان وقت كتابة خطابه هذا وكان ذلك عقب مطالعته رسالتين قدمتا له في اواخر عمره من تأليف بعض الائمه المتقدمين في ايضاح حقيقة التبرانية وائل الديانة المسيحية . قيل وكان صاحب احدى الرسائلتين ومهديهما قوادرatos وتنتسب الثانية لاريستيدس . غير انه وبعد من الغاف ان الاول منها عاش الى زمن ادريانوس بدليل قوله في رسالته المذكورة (حسبما رواه يوسف الذي قرأها بنفسه) ما نصه « از بعض الاشخاص الذين صنع فيهم ربنا يسوع المسيح آيات الشفاء لا يزالون احياء » ولذا يكون الارجح ان مقدم الرسالة لا ادريانوس كان احد اعضاء الكنيسة المسيحية بايانا او الاسكندرية او رومية . واذا ثبت ذلك فلابد من الجمجمة بين قوادرatos هذا واسقف ايانا المسى بهذا الاسم المعاصر لا ادريانوس . اما اريستيدس مؤلف الرسالة الثانية فكان فيلسوفاً مسيحيّاً من مدينة ايانا وقد امكن الدخول على رسالته في احد المدافن المصرية من عهد قريب بعد ان خلت مفتوحة عدة قرون

ثم ان آثار المذهب الاغنوسطي كانت ظاهرة وقائمة حتى على بعض المسكوكات المستعملة في عهد الامبراطور ادريانوس حيث توعد اشكالها وكثرة عددها الى درجة لم يسبق لها مثيل في عهد غيره . فكان لكل مركز وأقليم في القطر المصري نقود خاصة به منها ما كان منقوشاً عليه بعض

رموز المذهب الاعنوي طي ومنها ما رسم عليه بعض التماثيل المصرية ومنها ما يمثل رأس انطينوس المتأله (الذي افتدى مولاه). هذا وقد اشاع بعضهم ان ادريانوس شيد في اواخر عمره هيكل بدون اصنام او تماثيل على نية تكريسها لعبادة المسيح فيما بعد . وقد لا يخلو هذا القول من صحة فيما يتعلق بتشييد تلك المعابد ولكن لا دليل يمول عليه في اثبات تلك النية لادريانوس . وقد توفى هذا الامبراطور بعد مبارحته الديار المصرية بثلاث سنوات وبهاته كانت نهاية مملكته ونهاية مدة الالف واربعمائة وستين سنة الثانية المقدرة لدوره الشري العماية وفي نهايتها توافق افتتاح السنة المدنية مع السنة الدينية عند المصريين

الفصل السادس

المدرسة اللاهوتية الاولى . سنة ١٣٨ ب . م

تمهيد الى بيلوزيوم ممتازة النيل عند بابلون . وقد انشأ انطونيوس ايضاً ميدانآ لسباق الخيل بمدينة الاسكندرية وزاد على عدد ابوابها اثنين جديدين هما باب الشمس وباب القمر . ثم مما يدلنا على ان الديانة الوثنية القديمة كان بها ذلك العهد بقية من الحياة ما تهم في مدة حكم هذا الامبراطور ايضاً من انشاء هيكل جديد في الواحات الكبرى باسم (امون نف) المعبود المصري . وهناك رواية لا نرى موجباً لارتياب في صحتها ولذا نسبتها هنا وهي انه في عهد الامبراطور انطونيوس ايضاً - اي نحو سنة ١٥١ ب . م - عزم القديس فرونطينوس على ترك العالم زهداً في الدنيا وملاذها بجمع اليه جماعة من الاخوة وسار بهم الى وادي الطرون (في مديرية البحيرة) وهناك قضوا بقية حياتهم بالنسك والتعبد في بعض الكهوف الصخرية فكان ذلك عبارة عن تأسيس اول دير مسيحي وفي سنة ١٦١ ب . م توفي الامبراطور انطونيوس وخلفه مرقس اوريليوس الذي كان قد تبناه في حياته . وكان هذا الامبراطور قد درب على مبادئ الفلسفه الرواقية بواسطة استاذه ديوغينيتوس فبقي شديداً التشك بها وشهر خصوصاً بانكاره للعجزات والاحلام . وفي مدة حكمه كان القتل امراً محتوماً على كل من اعترف بالدين المسيحي او اتهم به مكان المسيحيون في اوقات الاضطهاد يساقون للمحاكمة مجرمين لا يثنون عن عبادة الآلهة الكاذبة او بمحنة انهم كفرة ماحدون لا يؤمنون بالله . وقد كتبت حينئذ عددة رسائل دفاعاً عن الدين المسيحي

والمسيحيين منها رسالة ثانية للقديس يوستينوس مارتيروس ومتمها رسالة الى ديوغنتيوس مهذب صرقس اوريليوس اجمع الناقدون على استحسانها والاعجاب بها بل احلي الجم الغير من المسيحيين المترفة الثانية من الاعتبار بعد رسائل المهد الجديد القانونية . وقد بقي الناس عدة قرون معتقدين بصحة نسبة هذه الرسالة الى يوستينوس ايضاً غير ان ابحاث العلامة كورتوز الحديثة اسفرت عن الحقيقة في هذا الشأن وهي ان كتابتها ورجل اسمه ابروسيوس من اكبر بلاد اليونان كان قد اعتنق الدين المسيحي فاهاج ذلك عليه ذويه ووجوه وطنه . على ان اتعاب يوستينوس وامبروسيوس هذه لم تأت بفائدة تذكر فان الاول مات شهيداً في رومية بين سنتي ١٦٦ و ١٦٧ وكان قد استشهد قبله ببعض سنين مار بوليكاريوس في ازمير وبعده في سنة ١٧٧ اهلكت الاندلس ورفيقاتها في مدينة ليونس . هذا والظاهر ان يوستينوس لم يأت مصر الاصنة في حياته كمار طريق غير ان مدينة الاسكندرية لم تكن حينئذ في حاجة الى المزيد من مشاهير الاكاديمية والعلماء المسيحيين سواء كانوا هر اطعمة او من ابناء الكنيسة الجامحة بدليل ما ظهر من ثرة اعمالهم في ذلك الحين بانضمام كثيرون من اشراف الولمنيين واكابرهم الى احضار الكنيسة المسيحية . فمن هؤلاء اثناعوراس الفيلسوف الانطوي وكان يشغل وظيفة عالمية مهمة بالمتحف الاسكندري ويهبر من اساطين الديانة الوثنية بالاسكندرية وكان كثيرون من الفلاسفة الافلاطونيين كثير البحث

في اسر الديانة المسيحية طمعاً في كشف اثنياتها واظهار فسادها فانكب على درسها باجتياح عقليه وكانت النتيجة العلية انه اعتنق الديانة المسيحية وقد استمر بعد ذلك على لبس رداء الفلسفه ولم يتنعم عن وخليفة التدرسين بيد انه اصبح من اعظم انصار النصرانية وَاكْبَر المدافعين عنها . وما كتبه لهذا الفرض رسالة عنونها الى صرقس اوريليوس وكومودوس ويظن ان تاريخها بين سنتي ١٧٦ و ١٧٧ بـ م ومن معاصري اثانوس اوس في ذلك الوقت كاوديوس بطليموس العالم الجيوغرافي الشهير وكان ايضاً فلكياً ماهراً تخرج من مدرسة الاسكندرية الرياضية ومن تأليفه كتاب في الالحان الموسيقية وجداول يحتوى على ارصاد فلكية عن الكسوف والخسوف لمدة ثمانمائة سنة سابقة لعهده . وقد اتم معظم هذه الارصاد في بابل اشور واكل بالقيها في بابلون المصرية كما يظهر من اسماء اماكن خطوط الطول والعرض التي ذكرها

وبعد قع ثورة اليهود التي حدثت سنة ١٣٥ بـ م استتب السلموساد فهو فأخذت الديانة المسيحية تتدفق في مصر امتداداً عظيماً حتى كان من ذلك انه في اواخر هذا القرن تأسست المدرسة المسيحية الشهيرة المعروفة بمدرسة الاسكندرية اللاهوتية وان كان تاريخ افتتاحها باسم مديرها الاول لم يزال غير معروفين حق المعرفة . على انه من سوء الظن ايضاً اننا لا نعلم شيئاً كثيراً عن تاريخ حكم صرقس اوريليوس في مصر بل غایة

ما اتصل بنا في سنة ١٧٢ ب. م جاهرت الجنود المصرية بالعصيان على القائد الروماني خاربهم الجنود الروماني تحت قيادة افيروس كايوس وبعد عدة وقائع عنيفة استظهر عليهم . ثم ان افيروس هذا طمحت انظاره بعد ذلك الى الامبراطورية فنادى بنفسه امبراطوراً سنة ١٧٥ فتأهب مرقس اوريروس الى قتاله وسار اليه بجيش اخر ولكن قبل وصوله الى مصر وردت اليه البشائر بان الجندي الروماني فيها قام على القائد المذكور وذبحه هو وابنه معه بذلك عودته للطاعة والولاء . فاستمر مرقس في سيره الى ان بلغ الاسكندرية فكث بها زماناً نال فيه من رضاء اهلها وثناء فلاسفتها وعلمائها ما لم ينل امبراطور قبله وذلك بحلمه ودماته اخلاقه . والظاهر انه في اثناء هذه الرحلة قدم اثناعوراس الى الامبراطور رسالته السالفة الذكر اما في اثينا او بالاسكندرية ولم نسمع بعد ذلك بمحض اضطهاد مصر في مدة مع ان اضطهاد وقع في ليونس في السنة التالية

ثم اتنا في السنة الاولى او الثانية من حكم الامبراطور كومودوس الذي اخلف مرقس اوريروس على الملكة الرومانية نرسي بنتينوس متقدماً رئاسة المدرسة الالاهوية . والظاهر ان بنتينوس هذا ومعاصره اكيمنيس الاسكندري الدائم الصيت كانا كلامها نلمذين لأناعوراس المارد ذكره وكانا كباقي مسيحي مصر الاولين متضلعين في علوم القدماء وحكمتهم كتضلعهما في كل الحقائق والمبادئ المسيحية الصحيحة . وكان

بطيريك الاسكندرية في ذلك الوقت ابا يوليروس الذي تبوأ الكرسي البطيركي بعد اغريقانوس في سنة ١٧٩ ب. م وهي السنة الاخيرة من ملك مرسق اوريروس ويروى في امر رساممة خلقه انه لما احس يوليروس بدنو اجله ظهر له ملاك رب في رؤيه او في حلم وخبره ان الرجل الذي يأتي بهدية من العنب في اليوم التالي يكون هو الذي اختاره الله خلفاً له على كرسي البطيركية . فلما كان الندباء الرجل واذا به شاب لا علاقه له بالاسكندرية مطلقاً بل هو فلاح مصرى ابي متزوج وقد احضر معه عبساً من محصول كرمته . فلما قيل له انه انتخب ليكون بطيريك توسل بضراعة ملتضاً اعفاءه من حمل هذه المسئولية المهاطلة فلم يلتقط الى طلبه وتمت رسامته بالقوة الجبرية على ما قيل . فلما رأى ذلك اخذ للحال في اجهاد جميع قواه توصلآً الى اصلاح نفائص تربيته الاولى ففتح الله عليه بشيء كثير من العلم والحكمة حتى اصبح من اعظم احبار ذلك العصر وآخر ائته واستمر بطيريك مدة ٣٤ عاماً حدثت فيها عدة حوادث مهمة . وابع اعمالاته هو انه ارسل بنتينوس لنشر الدين المسيحي بلاد الهند^(١) . وكانت قد اتته رسالة من تلك البلاد النائية يتمسون بها من بطيريك الاسكندرية (وهي اذ ذاك شهر مدینة في العلم والفلسفة) ان يرسل اليهم معلماً للإعنان

(١) يكن معلوماً عند القاريء الكريم انه في القراء الثاني المسمى كانت اكتاف البلدان المتاخمة للهند تعرف بهذا الاسم . غير ان يظهر من عدة قرائن ان القصد هنا بالهند هو الانطار الهندية الحقيقة .

يُعادل علمه بقواه . فعرض البطريرك ديمتريوس الامر على بنتينوس ففقيه هذا بكل رضى وذهب بنفسه لمباشرة هذا العمل تاركاً لا كليننس رئاسة المدرسة اللاهوتية الى ان يعود هو اليها . قيل وقد وجد عند الهند نسخة من انجيل متى باللغة العبرانية كانت موضوع اجلالهم وتعظيمهم ويقولون ان مار برثماوس هو الذي أتى بها الى اقطارهم الهندية ويظن مار جيروم ان بنتينوس جاء بهذه النسخة الى الاسكندرية . هذا ولم يعرف كم مقدار الزمن الذي صرفه بنتينوس في بلاد الهند لهذا الغرض وانما المعلوم انه حين رجوعه منها تولى رئاسة المدرسة اللاهوتية ثانية وبقي فيها الى ان توفي سنة ١٩٤ ب . م على الارجح اذ انه من شهادة المؤرخين قد ادرك زمن ساويرس الامبراطور وهذا ملك من سنة ١٩٣ الى سنة ٢١١ ولكنه لم يعش بعد سنة ١٩٤ المذكورة بدليل انه لما حدث الاضطهاد سنة ٢٠٣ كان اكليننس حينئذ مستقلاً برئاسة المدرسة اللاهوتية منذ بضع سنوات

ولقد هال المدرسة الوثنية ما رأته من سرعة انتشار الديانة المسيحية لذاك العهد فدببت الغيرة في عروقها وجدد ذلك روح النشاط عندها . فكانت خزائن مكتبة الاسكندرية في ذلك الوقت تحتوي على نسخ من جميع مؤلفات اليونانيين والمصريين ومع ذلك كان السعي على قدم وساق في تكثير مجلداتها وزيادة التأليف الجديدة فيها خصص قسم من النسخ لكتابه ما عليه عليهم المؤلفون الاحياء وافتغل قسم آخر بنسخ

ما امكن العثور عليه من كتب المؤلفين وال فلاسفة الوثنيين الذين درجو بذلك بقصد تسهيل انتشارها حتى يطلع الطلاب عليها . وقد بلغ عدد هؤلاء النساخ مبلغاً عظيماً حتى اصبحوا ابارة عن جيش صنفiro كانوا في حالة وظيفتهم قسرون الى قسمين هما ارباب القلم الرابع لكتابه الاملاء وناسخو الكتب وكان ثلاثة من اعظم مشاهير المؤلفين الوثنيين في ذلك الحين وهم ايننيوس ويوسيوس بولوكس وكيرون مصرىين مولودين بمدينة نو كرايس . وقد بقى من مؤلفات الاول كتاب واحد عنوانه « محادثات الفلاسفة » وفيه وصف شائق حالة الهيئة الاجتماعية في الاسكندرية لذاك العهد . اما يوسيوس بولوكس فلم يكن الا من اهل النقد الشفاهي ولكن كيرون صنف تاريخاً في ملوك مصر وكنته فقد برمته ولما يصلنا شي منه لسوء الحظ . ومن الكتابة المعروفة في عهد الامبراطور كومودوس لوسيانوس مؤلف كتاب المحاورات وكان سكرييراً او كاتب يد الوالي الروماني حينئذ . ومن الفلاسفة الوثنيين ايضاً شلوس الابيقوري اشتهر برسالة له ضد الديانة المسيحية التي عممت وزاد انتشارها اكثر من الدين الموسوى والديانة الوثنية الاصلية في مصر غير ان رسالته فقدت كثيراً ولم نعرف من محتواها الا ما جاء في رد اوريجانوس عليها . وقد كتبت في بحر تلك المدة عدة كتب اخرى في هذا الباب ولكن من الحقائق المقررة التي لا يشوبها ادنى ريب ان الديانة المسيحية فضلاً عن اجتذابها زمام العلماء في جميع أنحاء العالم المتعدد حينئذ وانهiad ثلاثة من اعاظم

الرجال — فـ ديمتريوس وبستانوس وأكليمنطس — لا وامرها وخدمتها في مدينة الاسكندرية فقط فقد كانت آخذة في التغلب بسرعة غريبة على الاديان الأخرى في القطر المصري حتى انه لما كان بطريرك الاسكندرية هو الاسقف الوحيد في مصر لحد ذلك العهد رأى ديمتريوس حينئذ انه من الضروري تعيين ثلاثة اساقفة آخرين للاقاليم البعيدة عن مركز البطريركية ليتمكنوا من رعاية قطاع المؤمنين . ثم من اوضح الادلة على اضطرار الديانة المصرية القديمة تلك المرأة الحزنة التي اشأها صاحب كتاب هرمس الاكبر اذ قال : —

« صحيح ان مصر هيكل الدنيا ومعبود الوجود ولكن لما كان من الواجب على الحكم ان يتذمر في مصر الامور ليعرف عواقبها وما تتهي اليه فاعما اذا انه سيأتي وقت يظهر فيه للمصريين كأن عبادتهم وقواهم قد ذهبت سدى وان ديانتهم المقدسة أصبحت لعواً اذ يرجع الالاهوت من الارض الى السماء وتصبح ارض مصر مهجورة وتبني خالية من الدين والتى بعد ان كانت مستقر الاوهية لأن البلاد متى اصبحت في قبضة الاجانب تهمل امور دينها وتتن فىها الشرائع ضد التقوى والمتقين وتفرض القصاصات على المتدينين . فensi هذه البلاد المقدسة ملائى بالعبادة الوثنية مشحونة بساكل الاصنام وقبور الاموات . فواحد راتاه عليك يا مصر اذ سوف لا يبقى فيك سوى ظل ديانتك فلا يؤمن بها الاعتاب والخاف وسوق لا يدوم لك سوى

باغتها عاجلاً الاضطهاد الاول الذي حصل لامسيحيين في بر مصر

الفصل الرابع

(اوريجانوس . سنة ١٩٣ ب.م)

اما شهرة اكليمننس فلم تحصر في طول باعه في التعليم والتدريس فقط بل كان طائر الصيت جليل السمعة ايضاً بما كان له من التأليف والتصانيف المعتبرة وقد حفظ منها الى يومنا هذا خمسة مؤلفات عدائعن عدد عظيم من بقایا كتب مختلفة. اما الحقيقة الفلكی التي كان هو من اول دعاها وتفنن في اظهارها على جملة طرق واساليب هي ان الدين المسيحي وارث الماضي وترجمان المستقبل . وانه ليس بناء غريب في تاريخ الكون او مناقض للحوادث والاباء السابقة بل هو اعم كل اعلان او وحي او نبوة حصلت وتفسير وايضاح لكل كتاب أنزل واكلل قول او مبدأ اكليمننس الاسكندرى رئيساً للمدرسة اللاهوتية في الاسكندرية (وانما عرف بالاسكندرى تميزاً له عن سيه اكليمننس الروماني) اما اسم هذا الرجل الشهير فهو تيطس فلافيوس اكليمننس وفيه اشارة الى وجود بعض الصلة بالعائلة الامبراطورية غير انا لا اعرف شيئاً اكيداً عن مولده وان كانت قد غابت عليه النسبة الى الاسكندرية . وقد ارتد عن الديانة الوثنية بعد ان صرف بعض سنوات في السياحة والدرس والمطالعة وتسلمه بعد ذلك لبتينوس وصار صديقه الحميم وقام مقامه مدة غالباً في بلاد الهند في الرئاسة على المدرسة اللاهوتية وعین بعد موته رئيساً لها وفي نحو ذلك الوقت ايضاً تمت رسامته كاهناً جرياً على عادتهم في ان هذه الرئاسة تكون لכהن وانما يستثنى من ذلك اوريجانوس الذي لم يدرج في سلك الكهنوت الا بعد اغصالة عن المدرسة المذكورة

غير ان اوقات المدح والسكنية لم تدم طويلاً في مصر بعد ان قنعت بها البلاد سبعين عاماً وهي المدة التي انقضت منذ عصيان اليهود الى بدء ظهور الاضطهادات ضد المسيحيين وفي خلالها كانت الديار

مركزه الا انه أمر بابن الصاد المدرسة اللاهوتية موقفاً واعقب ذلك ان تشتت شمل التلامذة ولازموا بيوتهم وكذلك اكتيتنفس او كن الى الفرار من هذه البلاد لكي يخلص نفسه من عائلة الاضطهاد . وعاش ديمتريوس مدة بعد ذلك الا انه لم يكن من نشر مؤلفاته اثناء حياته فنشرت بعد نياحته . اما عن المدة التي عاشها بعد الاضطهاد وما تم له فيها وكيف مات فلا يعرف شيء عنها يستحق الذكر والذى يتضمن قائمة اسماء الشهداء من المصريين بجدها طولية جداً ولو انها لم تصل اليانا كاملة مع انه في الاضطهادات الاخرى لا تجد اكثر من واحد او اثنين من اهم الشهداء . ومن الدين اشتهروا في هذا الاضطهاد فتاة اسمها بوتامينا التي تذكر كلها ذكرت عضاضة الشباب ونضارة الجمال وذاع صيتها الشدة ما قاسته من العذاب وذلك لكي يضطروها ان تذكر الديانة المسيحية وترتد عنها ولكنها بقيت متمسكة بآياتها الوطيدة الى أن اودعت لحب النار مع امها مارسلا . ولم ينته عمل هذه الصبية عند موتها بل ان ما اظهرته من الشجاعة والثبات في احتمال الآلام والعقاب اثر تأثيراً عميقاً في الصابط المكلف بتنفيذ الحكم عليها فلم يلبث بعد موتها ان سلم نفسه بارادته لاحكمه كسيحي فازيلت رأسه من على جسمه وهذه احدى نتائج الاعيان القوم الذي سيخلد ابوتامينا جليل الذكر وجليل الاثر . ومن اغرب ما نقله الرؤون بالاجماع ان النساء في مثل هذه الاضطهادات كن يعذبن اعداً اليها

المصرية قد أصبحت برمتها تقرباً مسيحية فلما تولى الامبراطور ساويرس عرش السلطنة الرومانية وجه اهتمامه في بادي ، الامر الى اخضاع الذين قاموا يزاحونه من كل فرج في أنحاء الامبراطورية وكان قليل للغاية الى ذلك الوقت باسم مصر وشئونها مظهراً ميل والرضى نحو المسيحيين حتى انه كان يعين منهم من يلزم للقيام بخدمة ابنه . ثم لا ندري ما السبب الذي حمله بعد ذلك على مطاردة واضطهاد الشعب الوحيد الذي كان أميل شعوب مملكته الى الدعة والسكينة وانما الذي نعلم انه ما لبث ان سحق شوكة الحوارج حتى اصدر امراً في سنة ٢٠٢ بـ . م محروم فيه على رعاياه الدخول في الديانة المسيحية او في الدين اليهودي في مستقبل الايام

وبعد اصدار هذا الامر قدم الامبراطور لزيارة بلاد مصر وتجول في انحائها حتى وصل مدينة طيبة جنوباً والظاهر ان ما شاهده هناك من استفحال سلطة الدين المسيحي وتمدن المسيحيين وكثرة عديدهم جعله يوجس خيفة منهم على السلطنة الرومانية نفسها فكان انه بعد وصوله مصر ازداد الاضطهاد شدة وصرامة ولم يكف الا بعد رجوعه بعده . وكان في مصر حينئذ وال اسمه ليتوس بذل غاية جهده في تنفيذ اوامر مولاه حتى عم الاضطهاد في أنحاء القطر المصري كله الا ان الضربة القاسية اصابت الاسكندرية بنوع خاص لانها كانت تعتبر منبع الديانة المسيحية . ومع ان بطريقه ديمتريوس ظل ساكن الجاش ثابتاً في

عندما لم تتحققه إلا بعد أن وعدها وعدها ثابتاً لأن لا يتركها إلا إذا دعته
الضرورة الشديدة لذلك وعليه اطاع ابن عوامل قلب والدته فارسل
جواباً لابيه المجنون يرجوه فيه أن لا يتذكر لذكر أهله ولا يفكروا بهم
أو في مصير أمورهم بل يصرف همه في ما يؤول إليه أمره الشخصي .
وثابت ابن يوسيوس جمع مجموعة تحتوي على نيف ومائة مكتوب
سيطرتها يد أوريجانوس في مثل هذه الفاروف تشجيعاً للمضطهدين
ولكن عبشت بها أيدي الضياع كغيرها من المؤلفات الثمينة التي ذهبت
طعاماً للنار مع المكاتب التي حرق في مصر وفلسطين
اما عن ليونيدس أبي أوريجانوس فآخر خبر عنه أن قد قطعت
رأسه وضمت أملأ كه جانب الحكومة . ولذا أصبح أوريجانوس صفر
اليدين لا سيد له وعلى عاته إم ينولها وصيانته يربهم ولكن قيض
الله له سيدة من ربات الثروة واليسار - لا يعرف اسمها - بذلت كل
ما في وسعها لتدافع عن المسيحيين في الوقت الذي كانوا فيه يتواجهون
بين عالمي الخوف والاضطراب في الإسكندرية . ويستدل من بقاء
اسم هذه السيدة في طي الكتمان مع ما كانت عليه من الشهرة الوازنة
أنها لم تكن مسيحية ولكنها فتحت خزائنها وبيتها ليس لاعضاء الكنيسة
الارثوذوكسية فقط بل ولهم اقطفه أيضاً سواء في مصر وأنطاكيه
وظلت نار الاضطهاد مندلعة بضع سنوات في أثناءها لم يصب
أوريجانوس بسوء، وسبب ذلك كونه اشتهر عنه أنه تحت كنف تلك

مخالف الرجال الذين كانت تقطع رؤوسهم بدون تعذيب . وبين
الرجال الذين ذاقوا كأس هذا الاضطهاد كان ليونيدس الذي شهرته
ذاعت لأنه كان أبياً لأوريجانوس ولا يعرف عنه شيء بخلاف ذلك
مع أن بعض المؤرخين قالوا أنه كان استقراً فإذا صاح ذلك فقد يتحمل
اله كأنه من ضمن الأداقفة الذين عينهم ديتربيوس للأقاليم إلا أنه كان
متزوجاً ولها سبعة بنين أكبرهم أوريجانوس الذي كان عمره بين ١٥ و ٢٦
سنة عند ما أُلقي القبض على أبيه وكان هذا قد اشتهر قبله في الإسكندرية
بأنه من النجب تلامذة مدرستها اللاهوتية وأد كاهن كما أنه تحلى أيضاً بصفات
حسن السلوك ومتانة الإيمان حتى أصبح يشار إليه بالبان ولذا صار
موضوع سرور والديه ومطعم انظار آله وذويه . ولما قبض على أبيه
ليونيدس كان هو عائباً عن المنزل كما يظهر من قرائن الاحوال فلما آتى
وجد أمّه وأخته الصغار في يأس وقنوط شديدين وقد يُعْكِن للقطن أن
يتصور حاسات هذه الام التعيسة التي لم تقدر تلتزمي من سرد هذا الخبر
المحزن لأوريجانوس حتى اعلن لاحوال رغبته في تسليم نفسه للحكومة
والالتحاق بابيه طمعاً في نوال مجد الاستشهاد ولكن دموع الشفقة
والحنان التي كانت تحدّر من عينيها كالسيل المهر وتوسلاها إليه يعدل
عن عزمها عاقاه برها عمما كان ينويه خصوصاً وأن الشمس كانت قد
مالت للغروب ولما جن الظلام وُتقل أوريجانوس بالنوم دخلت أمّه الــيفــة
إلى مخدعه خلسة وطوت كل ثيابه وابعدتها عنه فصار حينئذ كجبن

السجن ويزيل لهم نوعاً يد ان مجرى الاعمال الاعتدادية كالبيع والشراء والرياضة وغيرها بقيت على ما هي عليه في الاسكندرية وكان المسيحيون يخطرون ذهاباً وجائحة بين حيرتهم الوثنين واليهود وهم غير عارفين متى يجيء دورهم او ما الذي يحل بالسجناء منهم . ولم يكونوا يستعلمون التفوه بخبر الاهمـاـ في الاـذان فكان الواحد منهم يقول لصاحبـهـ « هل سمعت ان فلانـاـ قبض عليه سجن وقيل انه لا يعود يفلـتـ » وكقول بعضـهمـ ، لقد اصبنا بخسائر لا تقدر فـما العملـ » ولم يزل الامر كذلك حتى اختفى خبر الكثـيرـين واصبحت السجون مكتظة بهـمـ حتى اذا لم يبق فيها مكان اعدـمـ من فيها لا يجـادـ محلـ لغيرـهـ . كلـ هـذاـ والبطـركـ الفلاحـ الشـيخـ ديمترـيوـسـ والشابـ المـهـذـبـ العـالـمـ اوـريـجانـوسـ وكـثيرـونـ غيرـهـاـ من اولـيـ الشـجـاعـةـ والـاـيمـانـ ظـلـواـ يؤـدوـنـ ما يـطـلـبـ مـنـهـمـ نحوـ الآـخـرـينـ بكلـ ثـباتـ وـسـكـونـ جـاشـ وـكـانـواـ يـتـقـلـونـ منـ مـكـانـ الىـ آـخـرـ دونـ انـ يـجـسـرـ اـحـدـ ويـعـدـ يـدـهـ اليـهـ بـسوـءـ مـعـهـمـ كانواـ مـحـفوـفـينـ باـخـطـارـ جـمـةـ . ولمـ يـكـثـ طـويـلاـ حتـىـ القـبـضـ عـلـىـ خـمـسـةـ مـنـ التـلـامـذـةـ الـذـينـ كـانـواـ يـتـقـلـونـ الدـرـوـسـ الـلاـهـوـيـةـ عـلـىـ اوـريـجانـوسـ وـبـعـدـ انـ قـضـواـ ايـامـاـ مـرـةـ ذـاقـواـ فـيـهاـ منـ الـاهـانـةـ القـاسـيـةـ وـالـسـجـنـ الـاـلـيـمـ ماـنـوـهـ تـحـتـهـ اـجـسـامـ الرـجـالـ تـجـرـعواـ غـصـصـ المـنـونـ لـاـنـهـمـ رـفـضـواـ انـ يـنـكـرـواـ اـعـانـهـمـ بـانـفـةـ وـشـهـامـةـ . وـكـانـ بيـنـ هـؤـلـاءـ الشـبـانـ الخـلـصـةـ بـلوـطـارـخـوـسـ وـهـوـ شـفـيقـ لـتـامـيـذـ آـخـرـ اـسـمـهـ هـرـاـكـلـاسـ الذـيـ قـرـ منـ الـذـينـ اـمـسـكـوـهـ بـطـرـيقـهـ

السيدة المشار إليها وذلك انه بعد استشهاد أبيه لم يبق في المكان الذي
اختبأ فيه طويلاً بل خرج منه كاً يخرج الأسد من عريته وذهب
وقلبه مملوء بالشجاعة لزيارة المسيحيين الذين صافت بهم رحبات السجون
وكان يخدم كلاً منهم بقدر جيده من شطاً أيامه ليظلوا على إيمانهم ثابتين
ولو جر عليهم هذا كأس المنون . فسر البطريرك ديمتريوس من عمل هذا
الشاب الباسل وشجعه في الاستمرار على الدرس والمطالعة كما انه اوجد
له ايضاً تلامذة في اوقات الخطر هذه لتدريسيهم وكانت تصرف لهم
مرتباتهم من الاووال الخصصة لدار الفقراء والمعوزين . ومع ان
هؤلاء التلامذة لم ينكروا الايثام في المدرسة نفسها مبدئياً الا انه لم
يغض طويل زمان حتى التفت كل تلامذتها حول هذا الشاب الذي صار
فيما بعد من نوع متخرجيها . وقد يصعب على الباحث المدقق معرفة
الحالة التي كان عليها المصريون أثناء هذه الاوضطهادات ولكن يظهر ان
احوالهم لم تكن على ويرة واحدة بل كانت تختلف باختلاف الظروف في
بعض الاوقات كان المسيحيون يقتلون ويتشنجون عند ما يلقى
القبض بهؤلاء على الرجال والنساء منهم ويؤخذون على غرة من الاماكن
التي يقطنونها وكثيرون منهم يعذبون عذاباً أليماً ثم يتحرعون كاس الحمام
في لحظة من الزمن وبعضهم يتكون في السجون حتى يصبحهم الضنى والنجول
وكأنوا احياءاناً يعاملون بعنف القسوة والصرامة كما يشاء المكلفوون بحراستهم
واحياءاناً يرفق بهم قليلاً في سمح لهم بمقابلة اصدقائهم والتکلام معهم بما يخف

وقدر له ان يعيش حتى يكون رئيساً للمدرسة اللاهوتية ثم بطريرك الاسكندرية . وكان اوريجانوس مع بلوطارخوس عند ما قبضوا عليه لانه كان صديقه فلم يتركه بل ظل مرافقاً له الى آخر لحظة من حياته فلما قدم بلوطارخوس للاعدام اندفع اوريجانوس كالسيم يخترق الجم المزدحم وتقدم نحو صديقه بلوطارخوس ليقبله قبلة الوداع الاخيرة وهو بين السيف والنطع بينما كان الراعي المتجمرون هنالك يضجون ويصخبون طالبين القبض عليه ايضاً ورجه بالحجارة ولكن ع يكن من القرار فلم يقفوا له على اثر . اما باقي هؤلاء التلامذة الخمسة فهم ساويرس وقد أحرق بالنار وهيراكليدس وهرون وقد قطعت رأـاهما وآخر اسمه ساويرس ذاق العذب الوانا قبل ان يريحه السيف منه

وبعد مضى ستين على هذه الصفة اضطر البطريرك ديمتريوس ان يعين اوريجانوس نهائياً رئيساً للمدرسة اللاهوتية التي كانت لا تزال مائمة تحت رئاسته منذ ما بدأ الانبطاح . فهذا التعيين جعل اوريجانوس مبغوضاً جداً من عامة الوثنيين الذين كانوا ينظرون اليه شذراً بعين ملؤها الكره والغينظ فاحس ديمتريوس بذلك وشعر بقدر الحظر الذي يحيق باوريجانوس ولذا وضع حراسة قوية لحياته من الادى الذي كان ينتظر ان يصييه من الاوباش الذين كانوا يقصدون القبض عليه في احد الشوارع لا ان تقبض عليه الحكومة بالطريقة القانونية .

قال يوسفيوس يصف الحالة التي كان فيها اوريجانوس « ان عوامل

الاضطهاد كانت ترداد ضده كل يوم وحقن القوم عليه اصبح شديداً حتى ان اهالي الاسكندرية عن بكرة ابيهم لم يستطيعوا احتماله ولا الصبر على انتقاله من منزل الى آخر وجولاته في كل ناحية من شداً ومشجعاً الجم الفاجر الذين هدأهم الى الاعيان الصحيح والدين القويم » . ومن الغريب ان هؤلاء السنة الراعي بدأ فيهم شور الاحترام لهذا الشاب المهام الذي سحرهم بأعماله بينما كان يستخف بهم كلهم ليس ازدراء وسخرية بل بفطنة زائدة وطبع دمت وخلق سلس . قال ابيفانيوس انه في يوم ما امسك اوئل الزعاف اوريجانوس بينما كان سائراً في الطريق وحملوه بين ضجيج القوم الى هيكل سيرابيس الشاهق واضطروه اضطراراً بأن يضع القلنسوة^(١) على رأسه والبسوه الحلة البيضاء (التونية)

ديتريوس امر تعليمهم قد اخذوا يزدادون ويكتثرون ارتئى ان استمراره في درس العلوم الطبيعية والدروس الادبية لا يتلام مع تدريس العلوم الدينية للطلبة الذين أُسند اليه تعليمهم ولذا لم يلبي ان ترك مدرسة الفلسفة الوثنية السابقة الذكر واعتبرها عديمة الجدوى وان دروسها سحابة تحجب الانوار الساطعة التي يأخذها من علم الالاهوت، ولكنه لم يتبخ خطة الافراط والتفريط مرة واحدة بل بيقي يطالع ما سطره الاقدمون من العلوم المقيدة بجد متوافق وفي هذه المدة اخذ يبع كل كتبه المدرسية القديمة وجميع النسخ التي كتبها بيده من مكتبة الاسكندرية وعليه اتفق مع رجل باعه هذه الكتب الوثنية برمتها على ان يدفع له اربع بارات^(١) يومياً ثقات بها في حياته . فهذا الفكر كان مبدأ لخطة سار عليها اوريجانوس في ما بعد قاعدتها الفيرة الروحية التي تسوق الى انكار الذات وتكريس النفس وهي خطة اتبعها اكثراً المصريين المتدلين في هاتيك الايام وتطرفوا فيها حتى حرموا كل بحث وتنقيب في الامور العالمية . ولما كان اوريجانوس قد اشتهر باللذق والتواضع ورقة الجانب فلم يصب بتلك المصيبة التي وقع فيها اكثراً الاقياء من المصريين وهي الاتجاه الى الصحاري والقفار والابتعاد عن العالم بمحجة التبل والزهد او هو موت الاحياء بل ان ذكاءه ومواهبه السامية جعلته مفيدةً اكثراً باختلاطه مع الآخرين الذين هم في حاجة اليه اكثراً من

(١) كانت البارزة عبارة عن قطعة نحافة تساوي مليمين تغرسها

المضطربة - منظر ترى فيه ذلك الهيكل العظيم يناظر السحاب وحوله من الاسفل ردهة ملائكة يسائل القوم من كل جنس وطبقة وهم يضحكون ويصيحون بصوت كهزم البرق كما تشاهد امثالهم في وقتنا الحاضر عند الاحتفال (بالحمل) - ترى ايضاً طيارة السلم الشامخة مزدحمة بالوثنيين المترفين يحملون الاغصان المقدسة وفي وسطهم صورة ذلك الشاب الباسل كأنها القمر في ليلة حالكة وهناك ضوء الشمس يسطع على حلته الناصعة البياض فينكسر على تلك الاعين الشيرية فيبرها كما كان ينعكس فضله على افقدمهم فيسحرها واوريجانوس وافق كالاسد يرسم عن ثغر نقي وبيده سيف النخل يشير به على هذا الشعب لينبههم الى الدعوة التي يدعوهم اليها وهي عبادة المسيح بدل سيرابيس . وكان صوته الجموري يرن في الآذان وسكون جانبه ونباته حيراً الاذهان اما اوريجانوس هذا فكان عالمة دهره في حقائق الديانة المسيحية عند ما تقرر تعيينه رئيساً للمدرسة الالاهوتية كما انه كان متضلعماً في العلوم والمعارف التي شب على درسها واستيعابها . والذى اوصله الى هذه الدرجة من المعرفة والعلم هو انه قبل بدائنة هذا الانضباط درس كثيراً هـ وجماعة من الشبان المسيحيين في المدرسة الالاهوتية درساً مدققاً ثم في المدرسة الوثنية التي كان يديرها هامونيوس ساكوس من شهر عليا، الاسكندرية وكبار اساتذتها . قال يوسيبوس في هذا الصدد « ولما رأى اوريجانوس ان التلامذة الذين عبد اليه البطريرك

احتياج الدير له الا انه لم يبق كامل القوى بمعنى انه اسلم نفسه لعوامل الضعف وقهق الجسد حتى شعر بخطائه وندم على ما فعله من اذلال جسمه وود لو امكنه استرجاع قواه ولكن لم يفده الندم ولم ينفع الاسف فظل ضعيفاً منهوكاً والذى يراجع تاريخه يعجب جداً من الطريقة التي اتبها كما انه يعرف السبب الذى اضعفه واضنهانه في انه اجهد نفسه ليتم كل فرائض العبد الجديد واوامره حرفياً حتى امتنع من اقتداء ثوابين معها في وقت واحد وكان يسير حافياً شتااء وصيفاً وكان يأكل الخبز ويشرب الماء فقط ويأدم يقول خضراء غير مطبوخة اسوة بافقر فلاح مصرى وكيف عن درس الدروس الادبية والعلمية التي كانت اعظم ما تسر به نفسه ولم يزد حرفياً واحداً على الاصل في ترجمته لسفر من الاسفار كل هذا ولم يكن اوريجانوس الا شاباً في عنفوان الصبا وريغان العمر تقاومه الشهوة الطبيعية فكان يتغلب عليها بعد عناء يعرفه من يقاوم ارادته البشرية حتى انه لما كانت تضطره واجباته في ايام الاضطهاد الى الدخول وسط العائلات وارشادها لطريق السداد ومناقشة الجنسيين النشيط واللطيف ساعات متواتية كان يتلم ويرتعب خوفاً من الوقوع في تجربة وقد ان يصد نفسه بعزم شديد عن اي عمل يوجب الخجل ولا رتاباً متبعاً في ذلك نص ما ورد في الاصحاح التاسع عشر من انجيل متى

هذا ولو ذكر القارئ الكريم حالة البطريرك ديمتريوس عند ما

سي بطريركاً وكيف انه جاء يصلى لله لاجل زوجته ويقدم اكتنيسته قدمة هي محصول كرمه وهو حيث ذرجل فلاخ أمى وقد اختير لهذا المنصب الخطير - لو ذكر ذلك وعرف مقدار جبه لاوريجانوس ظهيره ونصيره لادرك ما استحوذ على افكار هذا البطريرك من الحزن والقلق عند ما رأى هذا الشاب الغض قد سقط في وهمه الضعف والنحول لسبب زهده وتقشهه خصوصاً لاغراقه وتعمه في مبدأ تكريسه نفسه وانكار ذاته ولأنه لم يتبه كبداء شخصي اختطه لنفسه بل قصد منه ان يتزع من فكر البطريرك ترشيحه لرتبة الكهنوتية كاترشح اكلينيكس وبينتنيوس من قبله . ولم يكن لحد هذا الزمن قد سن قانون رسمي يعدل به في مسألة الرتب الكهنوتية الا ان رأي الشعب العام كان له القول الفصل في هذا الامر لقوته ونوره ولذا كان كل من وقع عليه الاختيار سيم للحال لاي رب، كيما كانت درجته . زد على ذلك ان عمل اوريجانوس هذا خالف كل المخالفه قانون الملكة المدنى التي تعتبره كقاتل نفس كما انه تفرد في المجتمع النيقاوي ان كل كاهن يعمل بنفسه هذا العمل اي الزهد الزائد والتنبك المفرط لحد الاضرار بنفسه « يقطع من الكهنوت» الا ان غلطه اوريجانوس هذه تغفر له لانه اعترف بها اعتراف المقرب بذنبه الشاعر بقل خطبته كما ورد ذلك في هامش رساله التي سبقت الاشارة اليها

وقد استمر الاضطهاد السالف ذكره سبع سنوات لم يصب مسيحيو

الاصلي وفي الثاني النص اليوناني وفي الثالث ترجمة اكويلا^(١) وفي الرابع ترجمة سياخوس وهو مسيحي عاش في مدة مرسق او ريليوس او ساويوس كما يظن البعض وكان مسكنه فلسطين حيثما يحتمل انه انم هذه الترجمة المنسوبة اليه وقد يمكن ان اوريجانوس كان عارفاً بترجمة سياخوس عارفين تمام المعرفة بما سبق منهم من الشهرة السياسية والادبية ولا يعوزهم للإيقاع بملكته سوى رباط متين يربطهم معاً كأن يكون دين واحد كالدين المسيحي ولذا كان القصد محظوظاً في قرطاجنة وانطاكية وفي باقي الاقاليم المصرية اما رومية عاصمة المملكة التي كانت تحت حمى الجيش والحكومة فلم يكونوا يهتمون بأمره كثيراً وقد يغلب على الظن ان اوريجانوس زار كنيسة رومية رئيسة الكنيسة المصرية وذلك أثناء مدة هذا الاضطهاد وبعد عودته او ربما قبل سفره كان قد اشرك معه هرقلاس زميله في التلمذة في تدبير مهم المدرسة اللاهوتية بينما كان هذا قد سيم كاهناً . وفي هذا الوقت ايضاً انكب اوريجانوس على تعلم اللغة العبرانية وذلك ليؤهل نفسه الى ترجمة الكتب المقدسة الى ست لغات وهو عمل يعد من اهم الاعمال الخطيرة التي عملها اوريجانوس في حياته ولو ان هذه الترجمة لم تنشر الا بعد وفاته بستين قليلاً . وكان حجم هذه التوراة المترجمة يساوي ستة اضعاف حجم التوراة الاصلية مرتبة في جداول متوازية في الاول منها النص العبراني

(١) هو من يتعصب كأن يشتغل في اعمال متعددة في ایام ادريانوس وقد اعتنق الديانة اليهودية او الديانة المسيحية على قول البعض

رومية ضرر يذكر خصوصاً الذين كانوا منهم في خدمة الباطل الملكي ولعل سبب ذلك عدم وجود عصبية قوية لهم توجد التثير المطلوب مع كثرة عديدهم واهمية مراكزهم ولذا لم يخش الامبراطور شريم كأن يخشى شر المصريين الذين كانوا في درجة عظيمة من الثروة والعلم عارفين تمام المعرفة بما سبق منهم من الشهرة السياسية والادبية ولا يعوزهم للإيقاع بملكته سوى رباط متين يربطهم معاً كأن يكون دين واحد كالدين المسيحي ولذا كان القصد محظوظاً في قرطاجنة وانطاكية وفي باقي الاقاليم المصرية اما رومية عاصمة المملكة التي كانت تحت حمى الجيش والحكومة فلم يكونوا يهتمون بأمره كثيراً وقد يغلب على الظن ان اوريجانوس زار كنيسة رومية رئيسة الكنيسة المصرية وذلك أثناء مدة هذا الاضطهاد . وبعد عودته او ربما قبل سفره كان قد اشرك معه هرقلاس زميله في التلمذة في تدبير مهم المدرسة اللاهوتية بينما كان هذا قد سيم كاهناً . وفي هذا الوقت ايضاً انكب اوريجانوس على تعلم اللغة العبرانية وذلك ليؤهل نفسه الى ترجمة الكتب المقدسة الى ست لغات وهو عمل يعد من اهم الاعمال الخطيرة التي عملها اوريجانوس في حياته ولو ان هذه الترجمة لم تنشر الا بعد وفاته بستين قليلاً . وكان حجم هذه التوراة المترجمة يساوي ستة اضعاف حجم التوراة الاصلية مرتبة في جداول متوازية في الاول منها النص العبراني

فاصبحت المزامير مترجمة الى سبع لغات واحد هذه الجداول الثلاثة قيل انه اكتشف باريمحا في مرجل وذلك في مدة كارا كلار ابن ساويس بهذه الترجمة الشهيرة التي كتبها او بجانوس قد عبّث بها ايدي الضياع كما لعبت في غيرها من المؤلفات الثانية ولم يبق لها اثر ولكن الجدول المأذوذ من الترجمة السبعينية كان قد نسخ صورة منه من الاصل الذي كان محفوظاً في قيصرية في ايام يوسيبيوس وبامفيليوس وعرضت هذه النسخة ليقرأها من شاء . وفي القرن السابع قام بولس اسقف بلاً وترجم نسخة الترجمة السبعينية الى اللغة السريانية وظلت نسخة من هذه الترجمة محفوظة في دير في وادي النطرون أكثر من الف سنة وهي الآن موجودة في المتحف البريطاني ولكنها غير كاملة هنا اخذ او بجانوس يشعر بخطائه الذي ارتكبه في قع جسده وعقله وهو شعور ازداد معه عندما اخذ على عاتقه اتعام العمل المار ذكره الذي يحتاج لعقل سليم في جسم غير سقيم ولذا عول على اصلاح خطأه هذه بقدر استطاعته ولكن لم تعد تجدي الوسائل فعما لم يكن في طوفه استرجاع نفارة شبابه التي اضاعها بنيقه وتهوره ولكن افرغ قواه في اعادة غضاضة عقله ان لم يقدر على جسده وذلك بمعاودته درس المؤلفات العلمية والادبية . فلما عمل هذا اصبح عرضة لللوم وتقرع الجهاء وسخيف العقول ولذا اضطر ان يرمي نفسه ويناض عن مبادئه وهكذا شذرة من رسالة له في هذا المعنى قال فيها : -

« لما كنت قد كرست نفسي خدمة كلمة الخلاص وكان قد داع صبي في الآفاق انظرأ لبراعتي واقتداري وكثيراً ما كنت معضداً للهراطقة واهل البدع الذين يحيثون لزياري والبحث معي وكانت مرموقاً بجماعة من المقربين بالعلوم اليونانية خصوصاً المتعقبين في الفلسفة . - قصدت ان اخْفِض افكار الهراطقة وامتحن تأليف الفلسفه الدين أحياناً ينتفعون بحقائق مهمة وقد اتبعت في هذا خطوات بنتينوس الذي اقاد الكثرين قبل ان اوجدهما ولم تكن معارفه قاصرة على هذا الحد كما اني فوت آثار هرا كلاس الذي كان عضواً في جمع الاسكندرية وقد علمت انه واطب مدة خمس سنوات يحضر عند معلم الفلسفة قبل ان ابتدئ . انا في استيعاب هذه العلوم »

وقد كتب غريغوري ثومترغس وهو من اشهر تلامذة اور بجانوس كتاباً على نسق ما كتبه استاذه وهذا نصه :

« لم يحرم علينا البحث في اي موضوع ولا استعصى علينا علم ولا خفي علينا امر وقد أتيح لنا الوقوف على سر كل تعلم سواء كان للمتوحشين او اليونان ومعرفة غواص الامور روحية وجدية الهية او بشرية . وقد استعصى بحريه كل انواع العلوم . ومتنا افسنا بكل المسرات الجائزة التي تميل لها النفس الشريفة . ولم يكتفى او بجانوس بترجمة التوراة الى ست لغات بل في الوقت نفسه وضع ايضاً شرحاً طويلاً لاسفار التوراة ضاع اكثره من زمن مديد مع انه كان متداولاً في ايام يوسيبيوس . فهذا هو او بجانوس الذي يعد بين الطبقة العليا من علماء المسيحيين بالاسكندرية في الاعصر الاولى حتى لقد داع صيته وطبقت شهرته الافق فكان يأتي اليه الناس افواجاً من كل فج عميق وترسل الامم في طلبه ليرشدتها الى طريق الخلاص خصوصاً لما عرف عنه من الفرح في وقت الشدائـد والابهـاج

بالعذاب والآلام وكان من أهم اعماله ثلاث ارساليات أخذت إلى بلاد العرب كل على حدتها وقد ذكرها يوسيوس في تاريخه . ولا بد أن يتذكر القارئ أن بلاد العرب كانت في ذلك العهد أشبه بلاد الهند حيث تذكر مركب وصفها في أنها كانت عبارة عن بلاد واسعة الارجاء لا يعرف عنها شيء . أما مدينة البصرة التي كانت عثابة واحدة في صحراء سورية وهي تسمى الآن حوران على مسيرة أيام شمالى دمشق وأول ارسالية من ارساليات الثلاث التي أخذتها أوريجانوس كانت بين سنة ٢٠٣ - ٢١٥ ب . م وسبب ارسالها هو أن حاكم بلاد العرب أرسل جوبات إلى والي مصر وبطريرك الاسكندرية يطلب فيها ارسال الرجل المسمى أوريجانوس بدون خير وذلك لكي يشرح له تعاليم الديانة المسيحية ويرشده إلى طريق الخلاص . وقد يبعد على الظن كثيراً أن حاكماً يرسل حاكماً آخر ارسالية مثل هذه لنشر الدين المسيحي بينما كان الاضطهاد مستمراً والفرض منه ابادة هذا الدين وأضمحلاته . وكما أن المدوس لم يدم طويلاً للمسيحيين كذلك الاضطهاد أيضاً كف سنة ٢١١ ب . م عند موت ساويرس فبدأ مسيحيو مصر يذوقون لذلة الراحة خصوصاً عند جلوس ابنه كاراكلا الذي كان ميالاً للمسحيين لما شب عليه من العلم والتهذيب وهذا الذي مكن أوريجانوس من أخذ أول ارسالية بلاد العرب بين سنتي ٢١٢ و ٢١٣ ب . م ولما سار أوريجانوس قاصداً بلاد العرب وكل إدارة المدرسة اللاهوتية لعهدة

هر أكلاس ولم تطل غيته كثيراً عن مصر وذلك لأنه عين شخصاً اسمه بيرلوس اسقفاً للبصرة وكان البطريرك ديمتريوس قد سامه رئيساً لهذا الارسالية . أما عدم بقاء أوريجانوس زمناً طويلاً في بلاد العرب فهو أضيق وقته وكثرة اشغاله فضلاً عن أن البطريرك ديمتريوس لم يسند إليه مركز الوثامة على هذه الارسالية وهي وظيفة لا تعطى إلا للكهنة واريجانوس لم يكن منهم مع ما اشتهر به من العلم والفضل أما الامبراطور كاراكلا فكان رجلاً مستشرقاً وله وصف ينطبق عليه تماماً ذلك لأن إياه كان خليطاً من أوروبي وافريقياً وأمه كانت امرأة سورية الجنس وكانت الخلط والتباين في أصله أوجداً خليطاً وتبيناً في صفاتيه وطبعاه التي كانت تختلف من مكر وخداع إلى لطف وملائمة إلى همجية وقسوة حتى إن الصفة الأخيرة هذه تغلبت عليه مرتة فقتل أخيه على مرأى من أمه وذلك بعد أن رقياً عرش المملكة بسنة واحدة وهذا ليس بغريب في الطبع البشري أن يتغلب شيطان الشر على ملائكة الخير ما دام الإنسان مستلماً لعوامل ارادته الفاسدة . وقد خطر على بال كاراكلا أن يعمل على زيادة دخله فغير النظام الذي كان يسير عليه مسيحيو مصر فيما يختص بتادية الجزية وبدلها بنظام آخر ضرب فيه ضريبة على نزلاء الرومانيين الذين حال زمان استيطانهم لمصر ولكنه من أعنف منها المهاجرين والارقاء وضاعفتها على المصريين بأجهزتهم دون أن يستثنى منهم أحداً وعليه ضجر هؤلاء من هذا الظلم الجديد وشاركتهم

في تذمرهم جماعة القرطجيين والسورين فقدوا الخناصر على تغيير هذه الحال والمطالبة بالعدل والتفواعل رأى يسرون عليه . وكان بين القوانين المعمول بها حيث ذكر قانون يقضي على المسيحي الذي يعرف عنه انه قاوم الحكومة في امر ما بالصلب او بطرحه للوحش الضار فتمزقه ارباً هذا ان لم يكن عبداً ذليلاً فيكتفي ببعضه وذله . وكان التزيل الروماني عرضة مثل هذه العذابات المفروضة على المسيحي المصري اذا قاوم الحكومة الا ان نهايتها لم تكن واحدة فان الاول يقتصر قصاصه على العذاب فقط ثم يعنى عنه اما الثاني وبعد هذا العذاب يدوق كأس الجمام بحد الحسام

وكان كراكلا يستصحب معه ثالثين من العساكر احداهما من مكدونية والثانية من اسبرطة كرس له فقصد عند زيارته مصر ان يشرف الاسكندرية وهي اشهر مدينة في هذه الديار بان يتخذ له منها كتيبة من الجنود ضمن حرسه الخصوصي فسر الاسكندريون بهذه الملة سروراً كبيراً وقابلوا هذا الفكر بزيادة الفرح والابتهاج . فلما جاء اليوم المعين لاتمام هذا الترتيب وفدى الوف من الشبان واجتمعوا في ردهة واسعة خارج المدينة واصطفوا فيها صفوفاً حتى يسل على الامبراطور افتقادهم وانتخاب من يليق منهم قبل ان ينتظموا في سلاك الجنديه ويحملوا الاسلحه . وكان لذلك يوم مشهوداً ازدحم فيه اقارب اوئل الفتیان واصحابهم فرحة متهليلين وهم وقوف في ضوء شمس سطع نورها تمحض من الذين حفروا واهانوه . وحدث في سنة ٢١٥ بـ م بينما كان كراكلا في سوريا اعلن رغبته في زيارة الاسكندرية ولم يكدر يبلغ هذا الخبر مسامع سكانها حتى قاموا يستعدون لمقابلته باحتفال عظيم وذلك اقراراً بفضلهم عليهم بمنع الاضطهاد عنهم وكأنهم ناسوا ايضاً قوارص الكلام

صفوف المتطوعين والشعب يقابلها باصوات الاستحسان وعبارات الدعاء والاكرام . ولم يكن كثيرون حتى خرج الامبراطور خارج الصفوف وأشار اشارة اتفق عليها مع اولئك العساكر الادناء الحالين من الرحمة والحنان الذين كانوا عالمين قبل آبان مولام سيمهد اليهم اليوم اتحام مذبحه هائلة تشب لها النواصي وعليه جردو احرابهم وسيوفهم وانقضوا على هذا الجماع الاعزى من كل سلاح كما ينقض الباشق على عصفور صغير وأعملوا فيهم مرهفات الصوارم وذرق الانساب حتى انقلب اصوات الفرح والحان الموسيقى الى صرخ الحزن والفتوط وعويل الحزن والموت وذبح اولئك الشبان ذبحاً وجزت رؤوس اقاربهم وأصحابهم جزاً وسال الدم يجري كالغدران والذين لم يستتب لهم السيف طرحو في بحيرة البحر وصاروا طعاماً للأسماك . قيل ان ماء النيل الذي يصب في البحر المتوسط امتزج بدماء المذبوحين امتزاجاً حتى صار احمر كالبقر ولم ينج من كل ذلك الجماع الهائل سوى رجل او اثنين فراهاريين وبلغا الى المدينة والقيا الرعب والحزن في قلوب اهلها بهذه الاخبار التي يفطر منها القواد وبات القوم في خوف وجزع مما يتظر ان يحمل بهم فيما بعد وظن الكثيرون ان هذا العمل كان مقدمة فقط لاضطهاد يهود لا يتيق ولا يذر وخلوا يترقبون هجوم الجيوش على الاسكندرية فتدمرها وبنوا ظهم هذا على امر اصدره الامبراطور بارفاس الجماعات العلمية التي كان يعتبرها كسد يحول دون تنفيذ انتقامه . ولما رسم هذا الفكر في اذهان

الناس اسرعوا بالهرب من المدينة لا يلزون على شيء . وقد ذكر يوسيبيوس هذه الحادثة بقوله انها حرب عوان اندشت في المدينة ولكن لم يذكر اسم كاراكلا ولا علاقته بهذه الحرب وقد اشار ايضاً الى هروب الناس من المدينة وذكر ان اوريجانوس كان ضمن الفارين ذلك لانه ادرك ان بقاءه في مصر خطر على حياته بفاء الى فلسطين وأقام في قيصرية .اما البطريرك ديمتريوس وهرقلاس فظلا في الاسكندرية وب بواسطتها ظهر للمسيحيين ان غضب الامبراطور لم يكن موجهاً لهم خاصة بل جموع السكان على اختلاف اديانهم وان انتقامه لم ينته عند هذا الحد بعد بل بدأ يتعمق من الاسكندرية انتقاماً اديرياً بان أصدر أوامر بابطال الالعاب العمومية وعدم صرف مرتبات من الخطة للوطنيين وشاد معاقل وحصوناً بين المدينة الاصلية وبين الحي الذي فيه قصر الامبراطرة المدعى بروخيوم وذلك لكي يكون في مأمن من الثورات والعصيان . ولم يكتف بذلك بل سعى في احياء رميم الديانة المصرية القديمة وبنى هيكلآ لالله ايزيس في رومية . وقد قصر مدة اقامته في الاسكندرية بعد ذلك فلم يتمكث بها طويلاً بل قفل راجحاً الى رومية حيث هجم عليه مكرينيوس واوردده حتفه بعد هذه الحادثة المريعة بستين « ولا ظالم الا ويلى باظلم »

اما اوريجانوس الذي عرف انه هرب لفلسطين وأقام بقيصرية فقد قوبل فيها بزيد الحفاوة والاكرام كما يليق بفاضل مثله وعلت

منزلته في اعين علماء هاتيك البلاد حتى عهدوا اليه القاء دروس اديبة علمية في بحر الاسبوع ثم طلب منه اسكندر اسقف اورشليم — وهو رفيق اوريجانوس في التلمذة — ونيوسيستوس اسقف قيصرية ان يعظ جهاراً في كائسها . فلما بلغ هذا الخبر مسامع ديمتريوس بطريرك الاسكندرية كتب يعتراض على الاسقفيين المذكورين ساحهمما الرجل علمااني الوعظ في الكنائس جهاراً وهو عمل لا يجوز الا للكهنة فقط ويحرم على من عداهم حتى اوريجانوس نفسه . فلم يكت الاسقفاً على هذا الاعتراض بل رد عليه ولكن بلهجة معتدله وكلام يدل على مقدار احترامهما لهذا البطريرك واستشهاداً على عملهما هذا بما اجراه السلف الصالح الا ان البطريرك ديمتريوس الشديد العارضة لم يقنع بهذا الرد بل عاد فانفذ شامسة من الكنيسة المصرية يحملون رسائل لا اوريجانوس نفسه يحرضه فيها على الكف عن هذه الاعمال التي تناهى قانون الكنيسة وطلب اليه ان يعود الى الاسكندرية ليمارس عمله فيها لان المياه عادت الي مجاريها واصبحت الاحوال في هدوء وسكينة . فبنا على ما جبل عليه اوريجانوس من الطاعة والتواضع وهي اعظم حليمة تحلى بها رضخ لاشارة رئيسه وعاد لاسكندرية على جناح السرعة اما مكرينيوس الذي اغاث حياة كاراكلا فلم يملك سوى شهرين فقط سمع نفسه فيما والي مصر وعين صديقاً له اسمه باسيليانوس مع آخر اسمه مرقس سكندروس لينوباعنه في حكم مصر . ومرقس سكندروس

هذا هو اول عضو في مجلس النواب ناب عن والي مصر ولم يكن لكاراكلا عقب يخلفه على سرير الملكة الا ان خالته يولاموسا وهي فنيقية الاصل كان لها بنتان ولدت كل منهما ولداً . فهو لاء النساء الثلاث وهن يولاموسا ووليسوبيا وولياماما كن وجودات في البلاط الروماني اثناء وجود كاراكلا في عالم الوجود ولكن بعد موته اضطربت ان يلجان الى سوريا حيث درن مكيدة محبوكه الاطراف قصدن بها استرداد السلطة التي سلبها مكرينيوس قاتل كاراكلا من ايديهن وعليه اشاعت يوليسوبيا ان كاراكلا هو الآب الشرعي لابنها الذي كان له ستة ابناء معماً ولكنه كان كغيره من سالفيه يعرف باسم واحد هو لقب يلقب به وهو هليوجابلوس نسبة الى ديناته السوروية التي يشتق هذا اللقب منها . وقد ساعد على اتمام هذه الخيلة ان الجيوش الرومانية التي كانت معكراً في سوريا بآيات هذا الصبي الامبراطورية واقتلاوه مع امه وجدته بكل ترحاب واحرام وازلواهم في معسكرهم متراكلاً رحيباً فبدأت حيئذ حرب سجال بين انصار مكرينيوس وهليوجابلوس كان الفوز فيها لهذا الذي استولى على الملك واصبحت السلطة في يده . اما الحالة في الاسكندرية فكانت على غير ما يرام اذ ظل السلام مفترداً منها بما كان يثيره اعداء المسيحيين من الخصم والعراء حتى في وسط شوارع المدينة الى ان قتل مكرينيوس سكندوس كما مر وفر والي مصر الذي كان نائباً عنه تاركاً الدار تنبأ من بناتها

وحكم هليوجابلوس اربع سنوات كانت كلها شؤماً ونحساً على الملكة الرومانية خاصة اما مصر فقد تعمت بشيء من السلم والامن خصوصاً في الثلاث سنوات الاخيرة من حكمه واستفاد اوريجانوس كثيراً من هذه السكينة اذ اخذ يعارض التدريس والتأليف بزعمه ماضية وجد متواصل وكذلك البطريرك ديمتريوس الذي لم يبرح مركزه يوماً واحداً حتى في اشد ايام الاضطراب بدأ يزاول اعمال الكنيسة بهمة علياً ونشاطاً غريباً . واستفاد الوثنيون ايضاً من هذا السلام اذ اخذت مدرستهم الجديدة التي اسسها امونيوس سcas^(١) لتدريس الفلسفة اليونانية تنمو وتترعرع . وفي هذه المدة ايضاً تعرف اوريجانوس برجل من ارباب الثروة والنفوذ اسمه امبروز الاسكندرى وهو ليس اسكندرياً - والا كنا عرفنا شيئاً عنه قبل أوبية اوريجانوس من فلسطين بناء على شهرته الواسعة - بل يحتمل انه كان احد الاصدقاء الذين اصطفاهم اوريجانوس في فلسطين . ففي هذه الصدقة التي كانت بين اوريجانوس وامبروز وخللت ميتينة العرى لحد موته اثرت تأثيراً يذكر بالشكر في حياة اوريجانوس ذلك ان امبروز كان تابعاً لشيعة من اهل البدع والهرطقة فاقنه اوريجانوس بترك الافكار السخيفه واكتبه ضمن اعضاء الكنيسة المتقىمة الرأي وقد افاده امبروز ايضاً

(١) قد اتفق جميع المؤرخين على ان امونيوس سcas هذا هو الذي اسس مدرسة الاسكندرية الونية لتعليم الفلسفة الافلاطونية وان بطوليوس ولوبينيوس الوثنيين واوريجانوس وهرقلانس الميسحيين وكثيرون غيرهم كانوا من تلامذته الا ان الآراء اختلفت فيما اذا كان امونيوس سcas قد اعتنق الديانة المسيحية ام لا

بان حبه على تأليف أكثر الكتب التي ألفها ونسخها على مصاريفه الخاصة وذلك بان اوجده له فرقه من الناسخين الذين يكتبون الخط المختزل ومن الذين ينسخون الكتب بالطريقة المعروفة وكان بين جماعة الكاتبين هذه عدد من الفتيات اتخذن هذه الصناعة مهنة لهم للأفاده والاستفادة وحدث في سنة ٢٢٢ بـ ٠ م ان الجيش الروماني اخرج من معاملة هليوجابلوس الشاب معاملة تدل على القسوة والوحشية ضد هذا الجيش الذي مال بكلته الى اسكندر ساويرس ابن يوليانا ميالة هليوجابلوس وكانت امه قد ذهبت به الى رومية مع اختها عند ما ارتقى هليوجابلوس كرسي الملكه وظلا في مناظرة ومساجلة الى ان افضى الامر اخيراً بوقوع حرب عوان بين الاختين وابيهما كل ممهم يتود جسماً من انصاره بنفسه وانقض الخصم بانتصاره ميالة على اخوها سويانا فقتلها مع ابها واستحوذت هي على الملكه مع ابها ميالة وقتل ملك اسكندر ساويرس سنة ٢٢٢ وكان عمره ٣٧ سنة حين ملك وهو يعد من اعظم امبراطورة رومان واحسنهم صفات وجلس على العرش الامبراطوري احدى عشرة سنة هي عبارة عن جهاد مستمر لصلاح الحال والقاد للذين استولىوا على الملكه كما انه بدل ما في وسعه لوقف قدم الفرس وتوغلهم في المملكة الرومانية وهم اعداء الدهاء لما كانوا قد بلغوا في ذلك ملائكة مبلغاً عظيماً من القوة والمنعة بواسطة ارتباطهم وتحادهم معاً . ولما يسطر المحدث الامبراطور بالقلم

هو دفاعه عن المسيحيين وشهادته عنهم بأنهم أكثر الناس كفاءة لحكم البلاد وادارة امور العباد على حمود الاستقامة والامانة . ومع انه ظل متسلكاً بدياته السورية الوضيعة التي شب عليها تسليماً ظاهرياً الا انه كان يعتبر المسيح من اعظم العلماء الكبار الذين نشأوا في العالم وقادوا الناس بتعاليمهم وآدابهم واقام لهم تمثالاً في معبده الخصوصي ووضعه بين تمثالى العلماء الآخرين مثل ابراهام او رفيوس وسكندر الكبير وابولونيوس الذي من تيانا . وقد عرفنا في ما مر ان كل امبراطور كان له اسم مختلف عن غيره او لقب خاص يطلق عليه في البلاد كلها وذلك لكثرت الشابة في اسماء الامبراطرة وهو امر كان كثير الوقوع حينئذ وهكذا لقب اسكندر ساويرس في أيامات ايمه بلقب مضطهد المسيحيين وهي ريبة ينفيها عنه ما ورد في اقوال المؤرخين الذين عاصروه والذين جاؤوا بعده باكثر من جيلين . ولقد ازهر العلم في أيامه وأخذ فلاسفة الاسكندرية من مسيحيين ووثنيين يعارضون اعلامهم العلمية ويدافعون في التأليف والتصنيف فوضع بلوطينوس من ليكوبوليس (اسيوط) مبادىء الفلسفة الافلاطونية على طريقة ذوبمة وعم نشرها وكذلك هروديان المؤرخ اتم تاريخه في هاتيك الأيام وقد يتب على القلن ان اوريجانوس بارج الاسكندرية مرتين اثناء حكم اسكندر هذا احدهما أنفذ فيها لمقابلة مامايا والدة هذا الامبراطور والثانية أرسل الى بلاد اليونان في اعمال تختص بالكنية المصرية حيث

ان أمرآ يستوجب الانتقاد اذ كانت نهايته قطع العلاقات بينه وبين صديقه الحليم ورئيسه الموقر البطريرك ديمتريوس وهو امر يذكر بالاسف الشديد خصوصاً لالتصاق اللوم بالاثنين مما وقع بهما في الخطأ سواء ولو ان استفحال الحرق بينهما واتساع مجال اللدد والخصام يعزى الى تحزب اصدقاء الطرفين وتحريضهم لها جرياً وراء النيات والاغراض

ومن الواضح اليين ان ديمتريوس مع اعجبه بغيرة اوريجانوس وحماسه اللذين اوصلاه الى غلطة فادحة هي قمع جسده واضعافه وهو في عنفوان شبابه - اعتبر غيرة اوريجانوس هذه مانعة اياه من ترشيحه للرتب الكهنوتية مع انه كان اهلاً لها من كل الوجوه عدا هذا الوجه اما اوريجانوس نفسه فكان ميلاً لارتفاع الرتبة الكهنوتية الا انه كان يحترم ارادة رئيسه البطريرك في هذا الشأن ويرضخ لحكمه . وكان ديمتريوس يؤكّد ثقته باوريجانوس بين كل آونة وآخرى بواسطة معاملته له معاملة تدل على الثقة النامنة ويارساله في مهام مهمة لها علاقة كبرى بالكنيسة مع انه عالماني كغيره من عامة الناس . وليس من العجيب ان يكون روح العداء بدأه بين البطريرك واوريجانوس بواسطة اصحاب الطرفين كما سبقت الاشارة كان يكون امبروز وغيره من محبي اوريجانوس والمجيدين به اظهروا استهجاناً من حberman اعظم لا هو في تلك الايام من الوظائف الروحية بواسطة بطريركه كان لم يزل الى وقت

ارشائه السدة البطريركية فلاحاً أمياً وحرضوا اوريجانوس ان يستخف
بهذا البطريرك ويترك بلاده ويقصد اساقفة فلسطين الذين كانوا
رفقاء له في المدرسة ويرفون قيمته ومقداره ويودون من صميم ائدتهم
تعيينه في وظيفة كهنوتية . فإذا صح هذا الاحتمال فقد يكون تحريض
هؤلاء القوم السبب الوحيد الذي جعل اوريجانوس يعدل عن الذهاب
توأاً إلى بلاد اليونان لاتمام المأمورية التي عهدت إليه وإن يعرج على
فلسطين حيث سيم كاهناً على قيصرية

وقد اعتمد ديمتريوس غيظاً لاحتقار سلطته والاستهانة به فكتب للذين
كانوا السبب في الذي حدث كتابة شديدة اللهجة وغضب من اوريجانوس
غضباً شديداً حتى أنه لما عاد هذا إلى الإسكندرية بعد مضي بضعة أشهر
على رسامته في فلسطين وجد مكانه قد سقطت ومر كرم لم يبق له ولكن
ظن نفسه محظياً في الخطة التي أتبعها وإن ما عمله هو الصواب يعيشه ولكن
لعل همه واسع مداركه رأى أنه يختفي إذا هو يبقى في الإسكندرية في
مثل هذه الظروف التي زعزعت مقامه ولذلك فض كل علاقة له مع
المدرسة اللاهوتية التي كان رئيساً لها وعول على ترك الإسكندرية وكل
ما فيها وهجر مصر هجراناً لالقاء بعده . وقد يصعب على المرء أن
يتصور مقدار الشيفق والإنقسام اللذين كان يمكن ملحوظهما في الكنيسة
لو لم يدار لم اوريجانوس الامر بحال فطر عليه من شرف النفل والتواضع
ويتحمل بطيء خاطئه لاتهجهة ملحوظة عليه تيدهم فيلاستحب بلتفسيم ايطلو علة

واختاراً تاركاً هذه البلاد إلى بلاد أخرى اختارها الشخص بذاته . وكان
السوء الحظ أن ديمتريوس لم يظهر هذه الشهامة والافتة الاتين اظهراها
خصمه . صحيح قد كان له الحق في أن لا يقبل في بلاده كاهناً يعتقد
بعدم صحة كهنوته وعدم صلاحيته لهذه الرتبة كما أن باقي اساقفة البلاد
كتبو له يسرون رأي اوريجانوس تسفيهاً ولكن لم يكتف بهذا كله
فيقف عند هذا الحد . ذلك لأنه مع قبول اوريجانوس حكم المجلس الذي
شكله ديمتريوس من الاساقفة والشيوخ واستعفائه من رئاسة المدرسة
اللاهوتية ومهاجرته مسقط رأسه ومنبت أسلته . كل هذا لم يزد ديمتريوس
الا حنقاً عليه وسخطاً خصوصاً وأن اوريجانوس قوبلاً في فلسطين مقابلة
المنتصر الفائز على خصمه وأكرم أصدقائه الاساقفة هناك وقادته
ورفعوا منزلته كثيراً ولا ريب انهم كانوا مستعدين لاجراء هذه
المظاهرة لا اوريجانوس لمعرفتهم بما سيم له في مصر . والذى يراجع ما
كتبه يوسيبيوس في هذا الصدد يتضح له ان اساقفة فلسطين اظهروا
اعجاباً واستحساناً لاعمال اوريجانوس وتحقيراً وتسفيهاً لاراء ديمتريوس
الاصل الذى اغاظه غيظاً يعذر عليه ولكن كيئها كانت اسباب هذا الغيظ
 فهي لا تخلي ديمتريوس من الملام الواقع عليه بما عمله من جمعه اساقفته
وحصوله على قرار منهم يقضى بمحرمان اوريجانوس حرماً باتاً وارساله
خطابات الى جميع الكنائس يعلمها بهذا القراء وذلك لأنه استثناط
غضباً من هروب اوريجانوس الى فلسطين كما يرب العيد الآبق

واحتراره اياده مع ما كان له من عيم الفضل عليه وحق الرئاسة ايضاً ووجهه له وهو بعد في مهد الطفولية . اما اوريجانوس فعد هذا امارم غاية في القسوة والحدة كما يظهر لك ذلك من نص كتاب كتبه اثناء اقامته في قيصرية وهاك ملخصه :

« وحدث بعد هذه الامور ان الله اخرجني من ارض مصر بيت العبودية كا خلس شعبها فدياً . ثم قام عدوى (يعنى البطريرك) واقام في وجهي حرباً عواماً بواسطة مكتبه التافهة التي تغابر مبادي . الانجيل عاماً وحرك ضدى رحاً صر صرراً فرأيت من الصواب ان اقاوم جهد استطاعتي مدافعاً عن المبداء المهم الذي اختطته لنفسى وسرت عليه وهو الافاده والاستفادة وكنت اخنى من ان هذه المحاكمات العقيمة يستفعل شرها فتبرئ نائرة النفس الامارة فتضعف الذاكرة حينئذ واعجز عن انعام شرح الكتاب المقدس الذي بدأت به قبل ان ينطمس ذهني خصوصاً وان ابتعدى عن النسخ الذين كانوا يكتبون الخط الخندل منفي من عليه ما يخطر على بالي من الافكار . اما الان وقد بدت عن كل عوامل التأثير وقدر الله جل وعلا ان تميّش تلك السهام الناريه التي سوبت نحوى وتذهب في الهواء الفت نقى حينئذ وقوع الملمات التي كانت تصيبني بسبب التبشير بكلمة الانجيل واضطربت هذه النفس ان تحمل بطيب خاطر جميع المصائب التي اتابقى فهداه روعي وسكن جاشي لجودة الهوا وحسن الطلاق ففقدت النية على عدم تأجيل نسخ وتأدية المؤلفات المطلوب مني اتمامها »

ولنرجع الى القرار الذي صدر بحرم اوريجانوس فترى ان اساقفة بلاد العرب واليونان وكبدوكية وفلسطين قابلاً لهذا الحكم الصارم غضاءً وعدم اهتمام وظل اوريجانوس يزاول في فلسطين كل العمل المطلوب منه ككافر فوق مشاغله اليومية في التدريس والابحاث اللاهوتية . ولم يسلم اوريجانوس من غلطات يقع فيها جميع البشر على السواء فيما

يختص بمعاملتهم لا عدتهم وبغضهم وقلما ينجو منها احد خصوصاً وقت الحدة التي تبدل الحلم بعنف والتواضع بشانع وكان من اوريجانوس انه وعظ يوماً في اورشليم فأخذ آية موضوعه قوله « يقول الله للشارد لما تضعون عهدي في افواهكم واتم قد رفضتم الاصلاح واطرحتم كلامي خلف ظهوركم» ولكن لم يكدر يتم قراءة هذه الآية حتى نجحه ضميره وبنجه قلبه وشعر ان صديقه ورئيسه البطريرك ديمتريوس قد يمكن ان يأول هذا الكلام تأيلاً يطبقه على نفسه فالت دموعه على خديه كالسيل المهر واجهش في البكاء حتى لم يعد يستطيع النطق فتأثرت الكنيسة لتآثره وبكت لبكائه . وهذه احدى نتائج الضير الذي لم يقض عليه القضاء الاخير

واقام اوريجانوس نهائياً في قيصرية وتبعه اليها اميروز وزوجته وكل عائلته وتوارد اليه التلامذة افواجاً للاستماراة بمشكلة علمه وفضله . اما رفيقاه في التلمذة وهو هرقلاس وديونيسيوس اللذن كانوا من اعز اصدقائه في مصر فلم تخمد نار محبتهم له ولكن عدم ماحمي وطليس الجدال بينه وبين البطريرك ديمتريوس انحازاً له . البطريرك والدليل على ذلك انه عند ما رقيا الكرسي البطريركي بالتوالى في اثناء حياة اوريجانوس لم يفكرا في ارجاعه الى الاسكندرية مرة اخرى . وبعد هذه المخاصمة الفنية بين هذين الصديقين بقليل تشيخ البطريرك ديمتريوس شيخاً وسبعين من الايام بعد ان شهد ستة امبراطرة توالي على العرش الروماني وخلفه

هر أكلاس إما ديوبيشيوس فعين رئيس المدرسة اللاهوتية بالاسكندرية
أضطهاد ديشيوس للمسيحيين. سنة ٢٣٥ بـ ٠ م

ان يترك الاسكندرية فراراً من وجه مكسيمينوس ولكن كثيرين
من المصريين المسيحيين تجروا الموت كأساً دهاقاً في الاسكندرية والاقاليم
ولم تدم مدة هذا الظالم الفشوم طويلاً فلم تكد تمض ثلاث سنوات
على ملكه حتى حدثت ثورة في موريتانيا الحدي المقاطعات الرومانية اندك
با عرشه وخلفه غورديان وابنه اللذان ملكا ثلاثة شهور انتهت باه
آخر الاب انحصاراً وقتل الابن في حرب اغتيالاً وبقبدها مكسيموس
وبلينوس اللذان انتخبا اماماً مكسيموس فهجوم عليه حيث وقته غيلة
وما كان لعائمه غورديان مكانة سامية في ذلك الوقت لم يرض الجيش
وعامة الشعب بتغيرها ولذلك اجهزا على بلينوس الذي انتخبه مجلس
الواب مع مكسيموس فقتلوه في القصر الامبراطوري برومية ونادي
الجيش بغيرها الثالث امبراطوراً والبسوه الناج الروماني وهو بعد في
الخامسة عشرة من عمره . وعند ما ملك هذا الفتى استراحة البلاد من
الاضطهاد ولو ان الحرب لم تلت او زارها بعد . وما هدء ناز الاضطهاد
عاد اوريجانوس من كبدوكية الى قيصرية والتقي باسمروز الذي يحتمل انه
استفاد من المصائب التي وقعت على الحكومة اذ انتهز فرصة انقلاب
السلطنة بواسطة الثورات المتالية وفر من سجنها .اما غورديان فلما سرت
سنين لم يحدث فيها ما يستحق الذكر سوى انها كانت سني سلام
وآمان فتمت فيها الكنيسة المسيحية في مصر نمواً يوجب الشكر والدليل
على ذلك ان البطريرك هرقلس اوجد عدة ابروشيات جديدة في

الإقليم. وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن هرقل كان أول بطريرك مصرى أطلق عليه لقب بابا وهذا خطأ، فإن اللقب المذكور كان معروفاً في مصر من أول نشأة الديانة المسيحية فيها وكانت يطلق على القس والأسقف سواء. وفي هذه المدة جاء مصر بريلوس اوريجانوس الشهير وينسب على الفنان أنه في أواخر حكم غورديان شرع أوريجانوس في رحلته الثانية إلى بلاد العرب وكان بريلوس أسقفها الذي سبقت الاشارة إليه قد وقع في جبال بدعة جديدة كان يعلمها للناس وهي أن مخلصنا يسوع المسيح لم يكن له في عالم الوجود وجود قبل أن يولد بالناسوت فباحثه أوريجانوس طوبيلا وناقشه كثيراً في هذا الشأن حتى تغلب عليه بقوه الحججه والبرهان واقنعه بذلكه وبذا عاش شفاقاً جديداً كاد يقع في الكنيسة. وقد يكون أوريجانوس عرف شيئاً كثيراً في هذه الرحلة عن رجل اسمه فيليب من البصرة كان أبوه يلقب برئيس عصابة لصوص — وبعبارة اوضح كان بدويًا يسكن القفار — وعين فيليب هذا ضابطاً قضائياً وكان قبل تعيينه يدرس الدسائس خدمولاً للملك. أما الفرس الذين عرفتهم قبلاً أقوياء متعددين فقد بدأوا يستعملون قوتهم في اثناء حكم غورديان بغاراتهم على الحدود الشرقية للملكة فضاق غورديان ذرعاً من معاملتهم بهذه وصمم أخيراً أن يسير إليهم مجيش يتولى قيادته بنفسه. ومع أن انهزام أحد الطرفين كان لا بد منه إلا أن بلوطينوس الفيلسوف الافلاطوني الاسكندرى الشهير رافق هذه

الحملة آملاً أن يستفيد شيئاً من فلسفة الفرس التي كانت لا تقل كثيراً عن فلسفة اليونان . فاتئر فليب السابق ذكره هذه الفرصة للإيقاع بيده الإمبراطور غورديان فتوصل أخيراً إلى اغتياله وذبحه وله من العمر احدى وعشرون سنة ثم عقد فليب معاهدة صلح مع الفرس وذهب مسرعاً إلى رومية . وقد عاد بلوطينوس بعد أن لاق صوبات جمة في طريقه إذ كان يخشى عليه من الوقوع في أيدي الجيش الفارسي وقطن في رومية ينشر فيها علومه التي استوعبها من فلاسفه الفرس وعلاء الاسكندرية

قال يوسيوس أن فليب هذا كان مسيحيّاً وهذا خطأ ينافق ما رواه يوسيوس نفسه من أن قسطنطين هو أول إمبراطور مسيحي كما أن فليب اضطهد المسيحيين في مصر ولا يمكن أن يضطهدهم لو كان مسيحيّاً . وقبل أن يتبدىء اضطهاد دينه الذي كان رئيساً لمدرسة اللاهوتية وكان دينيسيوس هذا من عائلة عريقة في النسب وتربيه وثانية . وما يروى عنه إن امرأة مسيحية فقيرة اقرضته يوماً ما رسائل بولس الرسول ليقرأها فما اتم قراءتها حتى استفاد منها فائدة كبيرة وشعر بلذة عظمى من مطالعة هذه الرسائل فاشتراها حالاً ودار يسأل عن الكتب الأخرى التي يقتنيها المسيحيون حتى يستعيرها منهم فاشارت

عليه تلك الامرأة التقية ان يذهب الى القدس فهم اعترف منها بذلك فعد اليهم من فوره وعرض عليهم امره فقدمو المباقي الاسفار وهم فرحين مسرورين . فعمل الروح القدس في قلبه عمله المعروف واعتنق هذا الشاب الوثني المسيحية ومن ثم تلمذ لاوريجانوس كما سبق القول . ومن المؤكد ان ديونيسيوس كان متزوجاً ولكن يحتمل ان امرأته كانت قد ماتت عند ارتفاعه الكرسي البطريركي وكان ايضاً من مشاهير رجال عصره ومن فطاحل علماء زمانه وقد كتب كثيراً في مواضيع شتى لم تزل بعض كتاباته باقية الى يومنا هذا سدرج بعضها فيما يلي ومنها يتضح الشدة والضيق للذان قاساهما المسيحيون عصر في هاتيك الايام المررة . وبعد ان تعين ديونيسيوس بطريركاً اعقبه بيروس في رئاسة المدرسة اللاهوتية وكان كغيره من آئتها تلك الاعصر قسًا عالماً وكاتباً ماهرًا فضلًا عن انه عرف بزلافة اللسان وفصاحة المنطق وبلاهة الكلام حتى سموه اوريجانوس الصغير . وقد ذهب البعض الى انه مات شريداً فاذا صدق قولهم فيكون استشهاد في الاضطهاد الذي احدثه الامبراطور فاليريان كما سيجيء القول ولكن تاريخ موته لم يعلم قط وعلى اي حال فانه مات قبل سنة ٢٨٢ بـ ٠ م وذلك لانه عند ما سمي ثيوناس بماريركا في السنة المذكورة لم يكن بيروس رئيس المدرسة اللاهوتية بل كانت تحت رئاسة ثيوغنوسطس الذي لا يعرف عنه شيء . ومن الذين رضعوا لبيان العلوم اللاهوتية على يد

بيروس رجل شهير من قيصرية اسمه بامفيليوس وذلك في مدرسة الاسكندرية الطائرة الصيت حينئذ وكان الاضطهاد الذي وقع في حكم فاليريان محصوراً في مصر فقط فلم يتعدها الى غيرها وسبيه التعصب الديني من الوثنين ضد المسيحيين وليس هو باصر من الحكومة كالاضطهادات الأخرى . وقد كتب ديونيسيوس بعد نهاية هذا الاضطهاد كتاباً بعنوان فاييان اسفف انطاكيه وفيه وصف للاضطهاد المذكور كما انه احد الخطابات التي وعدناك بنشرها دلالة على مقدرة ديونيسيوس على الكتابة والتحرير وهكذا هو : -

« ان الاضطهاد الذي اصابنا لم يحدث بناء على أمر من الحكومة بل ان ناره كانت مشبوبة تحت رماده مدة سنة كاملة فاللظلت عند ما اثارها زند التعصب . وتفصيل ذلك ان شاعراً يدعى التبوة وقد على الاسكندرية وكان مجده شئوماً عليها اذ جال فيها يهجي سخط الوثنين شدنا ويحرضهم على الدفاع عن خرافاتهم واباطيلهم التافهة فثم له ذلك واثار ثائرة الوثنين نحونا وساعدتهم على عملهم ما اباحته لهم الحكومة من اجراء اي شر وضرير غبونهم لنا كما انهم ظنوا ان متبعي التقوى والقداسة تنحصر في عبادة اوئلهم وشياطيلهم وان هذه العبادة تم بذبحها او تقطيعها يجسداً في اقرابنا لاصدامهم . وكان اول شر ارتكبواه ان املأوكوا زجاجات هرمسة انتهت لمقرابي (ولطلبو لكمها) تائني تجوفة لم يهزني بكلامه

دأى معدبوها عدم فائدة هذا العذاب طرحوها في النار واحرقواه حتى
صارت رماداً . وقد امسكوا ايضاً رجلاً اسمه سرابيون بينما كان في
بيته واذا قوه عذابات يقصر القلم عن وصفها ويرق الحجر الصد من
تأثيرها حتى كسرها جميع اضلاعه وسحقوها سحقاً واخيراً طرحوه على
ام رأسه من فوق علو شاهق . وكان اذا سار الانسان ليلاً او نهاراً
في الشوارع والازقة لا يسمع سوى صراغ وضجيج وقوم يهددون
ويعذبون كل من رفض ان يمجده ايمانه وينكر مسيحه ولا يشاهد المرء
غير اناس اتقياء يجرهم الاشرار على وجوههم ثم يطربونهم في النار
المتقدة فيحرقونهم كالملحيم . وقد بقيت هذه الخطوب متفاقة مدة من
الزمن الى ان ظهر هياج سياسي اعقبه حرب اهلية ^(١) جرفت في
سبيلها كل شرير انيم ولذلك استرحنا قليلاً اذ انصرف شرهم عنا الى
بعضهم بعض ولم تكدر تنفس الصعداء حتى حاق بنا الخوف وحفتنا الخطر
عند ما ابدل ذلك الملك الذي كان ارق جانباً واقل شرآ من غيره بذلك
آخر قد لا يجلس على كرسى الملکة الا ويوجه انتظاره نحونا فيعمل على
اصطعادنا . وقد بدأ حدثنا يصدق وظننا يتحقق حلاماً صدر ^(٢) امر
شديد الوطأة مثل انباء بذلك مخلصنا له المجد متضمناً عبارات تصك منها
الركب حتى اوشك المختارون على السقوط والثمار وعم الخوف الجميع
وادركتن كثيرون من المشاهير الى الفرار ورفت كل مسيحي في خدمة

(١) كانت نتيجة هذه الحرب الاهلية قتل فيليب وارتقاء دبليوس الى الكرسي الامبراطوري

(٢) هذا الامر اصدره دبليوس في سنة ٢٠٠ بـ م

بذى فرفض الرجل طلبهم بتاتاً وحيثند انقضوا عليه كالوحش والخدوا
يضربونه بالعصى وينحرزون وجهه وعينيه بمناخس وهو ثابت القاب
ساكن الجائش فلما يشوا منه اخرجوه خارج المدينة ورجوه بالحجارة
حتى مات . ثم انفقوا جميعهم وساروا مندفعين الى منازل المسيحيين
فكانوا يدخلونها بقوة غير مراعين حرمة الجيرة ولا شروط المروءة
ويخرجون السكان منها ثم يتلفون كل ما وصلت اليه ايديهم الاية
فيأخذون الاشياء الثمينة القيمة اما الايات والامتنعة اليساوية فيجعلونها
طعاماً للنار اذ يحرقونها على قارعة الطريق حتى اذا رأهم احد وهم
يركبون ويسابعون ويقتلون ويحرقون ظنهم جيشاً ظفر بعدينة ففعل
بها فعل النالب المنتصر . اما المسيحيون فلم يبدوا ادنى مقاومة بل وقفوا
يراقبون خراب بيونهم وهم ساكتون حامتين فكانوا مثل اخوات
الذين اشار اليهم بولس الرسول في انهم كانوا ينظرون سلب امتعمهم
يفرح . ولست اعرف سوى رجل فقط من الذين وقعوا في ايديهم
انكر ايمانه ولكن بعد عناء شديد وعداب قاس واعرف ايضاً انهم
القوا القبض على عذراء عفيفة فاصنلها اسمها ابو لوينا وكانت قد هرمت
وشابت ناصيتها وأخذوا يضربونها على فكها حتى حطموا اسنانها تحطياً
ثم اشعلوا ناراً خارج المدينة وهددوها بالحرق حية ان لم تنطق بكلمات
التجديف والسخر التي كانوا يلقنونها اياها فاصابتها في اول الامر
قشعريرة شديدة من شدة الآلام ولكنها عادت فتجددت ونبتت فلما

فلم تكن له مقدرة على السير او القيام من مكانه فساقوه الى المحاكمة
بحمله رجلان على كتفيهما ولما نقدم هذان الرجلان امام المحكمة انكر
احدهما اعوانه بلا امبال واما الثاني واسمها كرونيون ولقبه انسوس فاعترف
باعوانه اعتراضاً صريحاً كما اعترف يوليانوس ايضاً ولذلك حلوهما على جاين
وطافوا بها في جميع أنحاء الاسكندرية - وهي كما تعلم واسعة الاطراف -
وكانوا يحملونهما بالسياط - جداً عنيفاً واخيراً طرحوهما في طهيب يتقد
بالنيران فصارا رماداً ينبعاً كان مخططاً بهما وفوفقاً يتفرجون عليهم كانوا من
المناظر التي تسر لها النفوس »

وقد سطر ديونيسيوس ايضاً ما حدث من استشهاد ستة رجال
واربع نساء فيهم شاب في ريعان عمره اسمه ديوسقوروس . وكان بعض
هؤلاء المذكورين من الاقاليم وبعضهم من الاسكندرية . وهكذا
مضمون الجواب المذكور

مضمون الجواب المذكور

«بعد أن جلد أولئك الاتقىاء بالساط طرحوا في أتون النار لتقديم ماديوستوروس
فأعطيه القاضي مهلة يتذرّع فيها بتجاهله اصراره على التحذّك، يدعوه عمهه يعود فيجدد
انفاقاً من القاضي على نسارة شبابه وخصوصاً لما آتته فيه من العقل والرسالة
عند ما كان يحيي على الاستئناف سأله إياها - قال الكاتب - وهذا أنا أخلي
هذه السلاور وديوستوروس قائم بجانبي يطفر من الفرح الروحي متطلعاً عذاباً
عريساً ولماً موجماً قد يصبه الآن»

كتب الجواب المذكور آنفًا حالاً بعد بدأه الاعتقاد الذي أثاره
إمبراطور ديثيوس أما المكتوب الذي سيعطي ذكره فيستدل من

الحكومة كيما كان زكاءه ونهايته وكان كل وثي يعرف أحد المحبين
ويرشد عنه كان يؤمن به على عجل ويدعون الواحد باسمه حتى يتقدم
إلى هيكل الاوثان فيطلب منه تقديم الذبيحة الوثنية وكان عقاب من
يرفض تقديم الذبيحة للعمر أن يكون هو نفسه ذبيحة للعمر بعد أن
يمهدوا في افتاءه بذلك بكل وسائل التخويف والارهاب بينما كان يوجد
جمهور من الوثنين الثام هنا لك وهو يهزأ ويُسخر بكل مسيحي يكون
خطه أما نكران الاعانة وتقديم الذبائح للأوثان وأما الموت الذي هو
نهاية كل إنسان ولكن بعض ضعيفي الاعانة انكر اعانته وهو واقف
 أمام المذبح الوثنى وأثبت انه لم يكن مسيحيًا فقط فهل هذا يصدق
 عليهم قول المخلص الحميد انهم بالجهد يخلصون . وكان البعض يقتدون
 بهذه الجاهد والبعض يتمسكون باديال الفرار وغيرهم قبض عليهم وطروا
 في السجون مكبدين بالقيود والاغلال ومنهم من انكر الديانة المسيحية
 بعد انت سجن قليلا ولم يحاكم وكثيرون بقوا متمسكون بالدين
 المسيحي معترفين به مع صعوبة العذابات التي ذاقوها مدة طويلة .
 وكثيرون قوام الله وارسل لهم معاونة من لده فبقاء مرتبطين
 بوحديانية الاعان الصحيح ولم يعلوا عنهم يمنه أو لسرة وكان من امرهم ان
 صاروا اركاناً متينة في بيت رب وعلمهم بنيت الكنيسة المصرية كما
 انهم دعوا شهوداً أمناء على مجد ملائكة ابن الله وكان في مقدمة
 هؤلاء الآباء رجل اسمه يوليانيوس اصبح بالتفرس (داء المفاصل)

اوائله انه كتب في زمن سابق لهذا الزمن غالباً في ايام الاضطهاد الذي وقع في مدة فيليب . اما السبب الذي اجأ البطريرك ديونيشيوس الى كتابة الرسالة التالية فهو ان جرمانوس احد اساقفة الاقاليم بلغه ان هذا البطريرك لم يبع الخطة التي سار عليها سلفه الاسبق دينتريوس في انه هرب من الاسكندرية بعد بدائنة الاضطهاد بقليل ولم يعد اليها الا بعد ان استراح المسيحيون هنئه لسب الحصومة التي وقعت بين الامبراطورين ديشيوس وفيليب عن المملكة وقد اشار اليها ديونيشيوس في كتابه الآتف ذكره . فرأى جرمانوس ان هروب البطريرك ديونيشيوس من الاسكندرية اثناء الاضطهاد ناتج عن جبن وخوف ولذلك وبخمه توبخناً عنيفاً فقام ديونيشيوس يدافع عن نفسه وينفي التهمة التي وجهت اليه بألفة وغيره حيث قال : -

« الى جرمانوس سلام

و وبعد فاني انكم امام الله و اشهدكم على نفسى انني لا اكذب فيما اقول بان هروبي لم يكن طبقاً لارادتى كما لا ادعى انني اتيته بناء على اهتمام من الله بل الواقع انه قبل ما بيتدى الاضطهاد الذى اثاره ديشيوس جاء بجل اسمه فرونتاريوس من قبل حابينوس ليبحث عني وكانت قد مكثت في منزلى نحو اربعة ايام انتظر جيء فرونتاريوس الذى لم يأتى الى بيتي توابل ذهب ينقب في كل مكان في الشوارع والحقول وبقرب الامر حينها ظن اننى احتبى . هناك و كانه شرب بالمعى فلم يستطع العود على منزلى لانه لم يخطر بباله قط اننى ابلى في البيت وقت الاضطهاد . فمرت الاربعة ايام على هذه الحالة الى ان اذن لي الله ان اترك كمبني وفتح لي طرفة آ سلكت فيه بكيفية عجيبة جداً فخرجت من المنزل ومعي اتباعى وكثيرون من الاخوة

السيحين وكان ذلك بتدمير من الله و عنابة منه ظهرت لنا في كل الذي تم مثـا بعد ذلك و بدونها لم تكن تذكر بشيء او غيـد شيئاً . و عند ما آذنت العـس بالغـب اـنكـي المـاـكـر اـناـوـرـفـقـانـي وقادـوـنـا الى سـجـن نـاـبـوـسـيـسـ وـلـكـنـ جـمـوـنـاـوسـ (يـحـتـمـلـ انه اـسـ هـذـاـ الـبـطـرـيـرـكـ) لمـ يـكـنـ مـوـجـوـدـاـ وـلـمـ يـلـقـ القـبـضـ عـلـيـهـ وـذـلـكـ بـعـنـابـهـ قـافـاهـ ماـ دـخـلـ الـبـيـتـ وـجـدـهـ قـفـراـ وـلـمـ يـلـقـ خـدـامـ يـحـرـسـونـهـ اـمـاـ نـحنـ فـحـسـنـاـ عـيـداـ اـرـقاـ وـفـدـ اـهـقـ انـ رـجـلاـ مـنـ الـاـرـيـافـ رـأـيـ تـحـمـوـنـاـوسـ رـاـكـهـ تـلـوحـ عـلـيـهـ دـلـائـلـ اـشـوـفـ وـالـجـزـعـ فـسـأـلـهـ الرـجـلـ عـنـ سـبـ جـرـبـهـ فـأـوـضـحـ لهـ تـيـمـوـنـاـوسـ جـاـيـةـ الـخـبـرـ . وـبـدـاـنـ سـعـ الـرـجـلـ هـذـاـ الـاـمـرـ ذـهـبـ فـيـ طـرـيقـهـ وـكـانـ قـاصـداـ وـلـيـةـ عـرـسـ . وـكـانـ الـعـادـةـ اـنـ النـاسـ يـحـيـونـ كـلـ الـلـيـلـ فـيـ الـاـفـرـاجـ فـلـمـ اـسـتـقـرـ بـهـ الـجـلوـسـ فـيـ الـجـلـسـ قـصـ هـذـاـ الـخـبـرـ عـلـىـ آـذـانـ الـمـدـعـوـنـ هـذـهـ الـلـيـمـةـ فـلـمـ يـكـنـ الـاـكـامـجـ الـبـصـرـ حـتـىـ نـهـضـواـ جـيـعـهـمـ نـهـضـةـ رـجـلـ وـاحـدـ كـاـنـهـ كـانـواـ عـلـىـ اـهـقـ اـسـاقـ سـوـاـ وـجـاؤـاـ مـرـعـيـنـ كـالـبـلـ الـجـارـ وـانـدـفـعـواـ عـلـيـاـ كـالـسـوـرـ وـاخـذـواـ يـصـرـخـونـ وـيـضـجـونـ باـصـوـاتـ كـالـرـعدـ القـاسـفـ فـلـمـ رـأـيـ اـمـاـكـرـ الـذـيـنـ كـانـواـ يـحـرـسـونـاـ مـاـ جـرـىـ وـلـاـ الـادـارـ وـارـكـنـواـ اـلـفـرـارـ فـانـقـضـ اوـلـكـ عـلـيـاـ اـنـقـضـ الـبـوـاشـقـ يـهـاـ كـاـنـاـ يـاماـ عـلـىـ اـسـرـةـ اـيـسـ عـلـيـهـ شـيـءـ مـنـ الـفـرـاتـ . وـيـعـلـمـ اللهـ اـنـيـ ظـلـمـتـ فـيـ بـادـيـ الـاـمـرـ جـمـاعـةـ مـنـ الـصـوـصـ جـاؤـاـ قـاصـدـيـنـ السـلـكـ وـالـتـهـبـ وـنـذـلـكـ ظـلـلتـ نـائـماـ عـلـىـ فـرـاشـيـ كـاـنـتـ دونـ انـ اـبـدـيـ حرـاـ كـاـ وـلـيـسـ عـلـىـ شـيـءـ مـنـ الـمـلـاـيـنـ سـوـيـ قـبـصـ مـنـ الـكـتـانـ اـشـرـ بـهـ وـاـمـاـ بـاـيـ شـيـانـيـ فـكـانـتـ مـطـرـوـحـهـ بـجـانـيـ فـقـدـتـهـاـهـمـ عـنـدـ ماـ اـفـتـرـبـواـ عـنـيـ . اـمـاـ هـمـ فـلـمـ يـكـونـواـ يـقـضـدـونـ التـهـبـ وـلـاـ يـتـفـونـ اـثـيـابـ بـلـ اـمـرـوـنـ اـنـ اـقـوـمـ مـنـ مـرـبـضـيـ وـاسـيرـ مـعـهـ مـسـرـعـاـ عـلـىـ حـيـثـ بـرـدـونـ . فـلـمـ اـدـرـكـ قـصـدهـمـ مـنـ الجـيـ . الـيـاـ اـخـذـتـ فـيـ الـبـكـاءـ وـالـمـوـبـلـ وـاخـذـتـ اـتـوـلـ الـيـمـ مـتـضـرـعاـ اـنـ يـحـسـرـفـوـاـ عـنـاـ وـيـزـكـوـتـاـ وـشـأـنـاـ وـقـلـتـ لـمـ اـنـهـ اـذـاـ شـأـواـ اـنـ يـعـلـمـوـنـ مـاـ جـيـلاـ فـلـيـتـاذـنـواـ الـذـيـنـ اـدـخـلـونـ . فـيـ هـذـاـ الـمـسـكـانـ وـمـنـ شـمـ يـقـطـلـوـنـ رـأـيـ فـلـمـ صـحـتـ عـلـيـهـ هـكـذاـ كـاـ يـشـهـدـ بـذـلـكـ رـفـاقـ وـالـذـيـنـ اـشـرـكـوـاـ مـمـيـ فيـ الـصـيـقاتـ اـجـهـمـ اوـلـكـ الـقـوـمـ اـنـ يـاخـذـوـنـ فـسـراـ دـغـمـاـ عـنـيـ وـلـذـلـكـ اـقـبـتـ بـنـفـسـيـ عـلـىـ الـاـرـضـ مـطـرـوـحـاـ عـلـىـ ظـهـرـيـ وـلـكـنـهـمـ لـمـ يـسـتـقـوـاـ عـلـىـ بـلـ اـمـسـكـوـاـ بـدـيـ

ورجلي وجروني خارجاً وتبني الذين شاهدوا هذه الحادثة وهم كابوس وفوسطين وطارس وبولس (غير الرسلين المعروفين) فلآخر جوني خارج المدينة واركبوني سارا غير مسرج * . وقد بلغ اضطهاد دينيوس منتهى القسوة والصرامة في فلسطين ولكن اوريجانوس تقوى هذا المرة فلم يهرب وكان قد عاد حديثاً من زيارته الثالثة لبلاد العرب حيث اضل الشيطان بعض اعضاء الكنيسة فيها فصاروا يكررون بعدهم جديداً هو ان الالاهوت مات مع الناسوت وقام معه ثانية في وقت واحد (١) . فجدد اوريجانوس سيف الحجة والبرهان في هذه المرة ايضاً وفاز باقناع أولئك المبتدعين الذين خالفت اراءهم وافكارهم تعاليم الكنيسة كل المخالفة اما اوريجانوس فلم يكدر يصل فلسطين عند عودته اليها من بلاد العرب حتى طرح في السجن . ولم يذكر يوسيبيوس شيئاً عن كيفية القاء القبض على اوريجانوس بل ذكر عنه ما يأثر في سياق كلامه عن اسكندر اسقف اورشليم وبسيليوس اسقف ادطاكيه اللذين قال عنهما ماتا في السجن بعد عذاب ايم قال يوسيبيوس :-

يصعب على الكاتب الماهر وصف ما قام به اوريجانوس واحتمله بصبر وفرح من العذابات المرة والآلامات القاسية اثناء هذا الاضطهاد اذ وضمه في مقطرة من الحديد وزجواه في اعماق السجن حيث ظل يضمه أيام مطروحاً على خشبة وهو

(١) كان المقربون للدماء يعتقدون انه ولو مات الجسد الا ان الروح والنفس البشرية تعيان بحيتان الروح في عالم آخر والنفس في الجنة الخ涅طة (الموميا) التي حصلت لبقاء النفس عليها الى يوم القيمة التي لن تعود الروح وتنعم مع النفس كما كانت قبل ذلك ومن هذا الاعتقاد وجلدت عندهم اهمية تحنيط الجثث مسكن للروح ليس الا

مشدود باربعة ونواق لا يستطيع منها احراره وهم يتسلون النازمن حوله تمديداً له وتخويفاً وغير ذلك من صرائر شرها يملؤ ووصفها بهول ذاقها هذا المسيحي من اعدائه العديدين ولكن لم يبد ضيئراً ولا اظهرا مللاً ولم يتسل بازمة افرجي وعند ما اتى القوم من تحرير اوريجانوس كل اصناف العذاب قدموه للحكم عليه بالموت فسمى القاضي الموكل بالحكم جهده في تأخير موته ليس ليتعجب اوريجانوس منه بل ليطيل عذابه باطالة ايم حياته . فالذي تم لاوريجانوس من الام وعذاب يجدر بان يكون عبرة لمن يثير وذكرى لمن يذدد كر وتعزية للذى وقع في مصائب او اصابه شر وتجربة وعلى من يرغب شرحاً وافياً عن ذلك عليه بمراجعة رسائل اوريجانوس التي بقيت بعده فيجده فيها اخباراً بونق بصحتها ونقضها وافياً بما اصابه واصاب غيره من قبله .

اما الرسائل الكثيرة التي كتبها اوريجانوس وشار إليها يوسيبيوس في ما كتبه آنفاً فلم يبق منها سوى رسالتين فقط ليس فيها شيء عن الاضطهاد الذي احدثه دينيوس وقد يمكن ان ما ذكره عن هذا الاضطهاد موجود في رسائله الأخرى التي أصبحت هباءً منتشرأً . ولو ان كل ما ورد في كتاب يوسيبيوس عن اوريجانوس قد صنع ولم يبق شيء منه الا انه يحيب في ان ذكرى هذا الرجل وتأثيره الشخصي يتي فعالاً مؤثراً في ايم كان دينيور خلامها يمس بالايدي وشرها يسمع صريه بالاذان . اما عذاب اوريجانوس فلم يقف عند الحد المارد ذكره بل يبقى مدة طويلة تعلب فيها الرجل على فراش الضنى والاحول حتى بلقت روحه الحلقوم ولكن ظهر له شعاع من الفرج والسرور عند ما وافاه مكتوب من البطريرك دينيور يشجمه فيه ويشاطره الاسى والاسف مظيراً فيه ارق العواطف

واشرف الاحساس الا ان هذا الجواب المثير صناع كذا ضاع غيره من المكاتب المفيدة

وقد زل كثيرون من المسيحيين اثناء اضطهاد دينهم هذا وقدموه الذبائح لا وتن اجابة اطلب معدتهم فأخذت هذه المسألة دوراً مهما في الكنيسة عن كيفية العاملة التي يعامل بها الذين سقطوا عند ما يخف وزر اضطهاد ويأتون ليعرفوا بخطاهم ويتسلوا الى الكنيسة لكي قبلهم ثانية في احضانها . فقر الرأي على قانون للتوبة من بعد ذلك بقليل للسير بعقتضاه في هذه الاحوال والظروف الصعبة وقد يمكن ان هاته المسألة كانت موضوع البحث في كل اضطهاد حدث ولكن بتحكم فيها هذه المرة فقط واصبح العمل بها امراً مقرراً بعد ان تداولت عنها مكاببات ورسائل كثيرة بين أساقفة الاقاليم وكان أكثرهم ميلاً للرقى بحال من يتوب توبه حقيقة الا ان نوفاتوس احد كهنة رومية خالق زملائه في هذا الشأن وكان رأيه ليس مما يحمد عليه فضلاً عن انه تحصل على تصديق مزدود من أساقفة في بلاد بعيدة يدعى فيه انه عين أسقف رومية . فرجل يمثل هذه الصفات يرتقي المناصب الكهنوتية زوراً وبهتاناً لا يصعب عليه ان يشدد النكير على الذين زلت بهم القدم في مدة اضطهادات ويسو عليهم قسوة متماهية حتى انه اوجد قانوناً مخصوصاً في هذا الصدد مقاده ان الذين جحدوا الدين المسيحي ولو مرة واحدة لسبب اضطهاد لا يمكن قبولهم في عضوية الكنيسة مرة ثانية ولو تابوا توبه بدروع

ما دام ان الكنيسة لا قدرة لها على مسامحتهم وغفران خططيتهم وعليه العقد مجمع في قرطاجنة مؤلف من يف وستين اسقفاً عدا الكهنة والشمامسة تحت رئاسة كبريانوس للنظر في هذا الامر فقرر اخيراً باجماع الاراء القرار الآتي وهو :

• حيث ان نوفاتوس والذين جازوا على آرائهم عولوا على انتهاج طريق المدعوان وسلكوا مسلكاً بخلاف الطبيعة البشرية كل الخالفة فهو لا، يعتبرون منشقين عن الكنيسة ما داموا يخالفونها في قراراتها . اما الاخوة الذي وقعت عليهم المصائب الروحية وسلوا السبيل السوي فيلزم علاجهم بدواء التوبة الشافي حتى يتنهوا « وقد اتفق الجميع كله على استئناف القضية الى اسقف الاسكندرية او هو بابا الاسكندرية . اما كرنيليوس الذي انتخب حديثاً اسقف رومية بدل فابيان الشهيد - ذلك لأن تعين نوفاتوس الغير القانوني لم يقر عليه الرأي ولا اعترف به احد سوى رهط يدعى الاصابع - كتب الى دينيثيوس كتاباً شديد اللهجة متین العبارة يشكو فيه « الشغل الخيف المحتال » وهو يقصد بذلك نوفاتوس المذكور . اما نوفاتوس فكتب الى دينيثيوس يعتذر عن رسالته الغير قانونية ويقول انه اضطر لقبوها اضطراراً اجا به لتلمس بعض الاخوة والاخجم عليهم . فقوارص الكلام التي طعن بها كرنيليوس وكباريانوس في صدر نوفاتوس لم تؤثر فيه بشيء ولكن الرسالة التالية التي ارسلها اليه البطريرك دينيثيوس فعلت في قلبه فعل قطرات الماء في جرف هار وهكذا الرسالة :

دِيُونِيُثُوسْ يَهْدِي سَلَامَهُ إِلَى أَخِيهِ نُوفَاوْسْ — وَبَعْدَ . فَإِذَا صَحَّ
مَا فَلَتَهُ وَصَدَقَ اعْتِذَارَكَ فِي أَنْكَ قِيلَتِ الْوَظِيفَةِ بِطَرِيقَةِ غَيْرِ قَانُونِيَّةِ ضَدِّ
رَغْبَتِكَ فَعَلَيْكَ أَنْ تَبْرُهَنَ ذَلِكَ بِأَنْ تَتَرَكَ هَذِهِ الْوَظِيفَةِ بِرَغْبَتِكَ وَتَمْتَزَّلَهَا
بِأَرَادَتِكَ لَأَنَّ الْوَاجِبَ عَلَيْنَا أَنْ نَحْتَمِلَ كُلَّ شَيْءٍ وَنَذْوَقَ كُلَّ هُوَانَ وَعَذَابَ
لَا أَنْ نَسْيَءَ اسَاءَةَ تَؤْثِرَ فِي كَنِيَّةِ الْمَسِيحِ الَّتِي افْتَدَاهَا بِدَمِهِ . وَاعْلَمُ هَذَا
اللهُ أَنَّ الْمَجْدَ الْأَسْنَى وَالشَّرْفَ الْأَعْظَمَ يَكُونُنَا لَنَا كَامِلِينَ إِذَا نَحْنُ مُتَّهِمُونَ
شَهِداءً لِأَجْلِ الْكَنِيَّةِ مِنَ أَنْ نَسْهِلَ لِأَنْاسَنَا تَقْدِيمَ الدَّيَانَةِ لِلَّا وُئَنَّا وَانْكَارَ
الْإِعَانَاتِ . وَمِنْ رَأْيِي أَنَّ الَّذِي يَمُوتُ شَهِيدًا لِأَجْلِ إِيمَانِهِ أَنْهَا يَرْجِعُ نَسْهَهُ
وَيَنَالُ الْمَجْدَ وَالثَّوَابَ لِشَخْصِهِ فَقْطَ وَلَكِنَّ الَّذِي يَمُوتُ لِأَجْلِ الْكَنِيَّةِ
فَهُوَ يَفِيَ الْكَنِيَّةَ وَنَفْسَهُ إِيْضًا . وَالْمُتَّهِمُ أَنَّكَ إِذَا افْتَنْتَ أَخْوَانَكَ وَجَلَّتْهُمْ
عَلَى أَهَامِ مِبَادِيِّ الْإِنْفَاقِ وَالْوَئَامِ فَتَكُونُ حَسَنَاتِكَ قَدْ زَادَتْ عَنْ سِيَّئَاتِكَ
وَلَا أَنْ تَسْتَطِعَ التَّأْثِيرَ عَلَيْهِمْ وَخَالَفُوا وَسَاطُوكَ فَاعْمَلْ عَلَى الْأَقْلَى
خَلاصَ نَفْسِكَ وَارْبَأْ بِهَا . وَفِي الْخَتَمِ اهْدِيَكَ تَحْيَيَ وَسَلَامِيَ عَلَى أَمْلَى
أَنْكَ رَاغِبٌ فِي السَّلَامِ عَامِلٌ عَلَى تَوْطِيدِ دِعَائِهِ بِاسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ
وَقَدْ يَحْتَمِلَ أَنْ فَابِيوسْ اسْقَفَ انْطَاكِيَّةَ كَانَ مِيَالًا لِأَحْتِدَاءِ حَذْوَنِ
نُوفَاوْسِ مِنْ حِيثِ التَّشْدِيدِ عَلَى الَّذِينَ انْكَرُوا إِيمَانَهُمْ وَتَابُوا وَمَعَالَمَهُمْ
بِالْعَدْوَانِ وَالْقُسْوَةِ وَلَذِكْرِ كَتَبِ الْمَسِيحِ دِيُونِيُثُوسْ كَتَبَ نَائِيَ عَلَى مُلْخَصِهِ
هُنَا وَهُوَ :

وَقَدْ يَذْكُرُ الْقَرَاءُ الْكَبَرَامُ رِجْلًا أَسْهَبَ بِوَاسِ النَّاسِكَ وَهُوَ أَحَدُ
أَرْكَانِ الرَّهْبَيَّةِ فِي بِرِّ مَصْرُ نَشَاءُهُ أَنَّهُ رَجُلٌ فِي مَدْهَهُ هَذَا الْأَعْنَطَهَادِ وَلَكِنْ
شَهْرَتْهُ لَمْ تَلْغِ خَدْهَا إِلَّا بَعْدَ اِنْقَعْنَاهُ الْأَعْنَطَهَادَ بَعْدَهُ طَوْبَلَهُ حَتَّى أَنْ الْبَطْرِيرَكَ
أَلْبَكَ مَثَلَ عَمَاحَدَتْ فِي مَثَلِ هَذِهِ الْأَمْوَارِ الَّتِي نَسَاقَنَ فِيَهَا الْآنَ وَمِنْهُ يَظْهَرُ
أَنَّكَ كَيْفَ تَصْرِفَنَا حَنْ : حَدَثَ أَنْ رِجْلًا هَرَمَا أَسْمَهُ سِيرَابِيُونَ وَهُوَ مِسْبِحِي
لَا غَشَ فِي قَضَى حَيَاةَ طَوْبَلَهُ بِكُلِّ قُوَّى وَامَّا . كَانَ قَدْ ذَبَحَ لِلَّا وَنَانَ اِنْتَهَادَهُمْ
أَيَّاهُ وَأَكْهَهُ عَادَ فَاقِرَ بِذَنْبِهِ وَاسْتَغْفَرَ رَبِّهِ عَنْ خَطَبِهِ فَلَمْ يَقْبَلْهُ أَحَدٌ أَوْ يَرْقَ طَحَانَهُ
الْأَنْسانَ . فَاصَابَ الرَّجُلُ مِرْضٌ عَضَالِ الرَّزْمَهُ الْفَرَاشِ وَظَلَّ ثَلَاثَةَ أَيَّامَ مِنْ تَوَالِيَّةِ لَا يَعْيَى
وَلَا يَكْلُمُ وَفِي الْيَوْمِ الْرَّابِعِ اِفَاقَ قَايِلاً مِنْ غَشَّهُ تَهْ فَدَعَى إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمَ الْأَكْبَرَ وَقَالَ لَهُ
• لَقَدْ طَالَ يَا أَنِي زَمْنٌ حِيجَرَكَ لِي فَاتَّرَسَلَ إِلَيْكَ أَنْ تَرْسَعَ وَتَطَلَّقَنِي مِنْ شَيْءٍ إِلَيْ
فَارِجُوكَ أَنْ تَذَهَّبَ وَتَأْتِيَ لِي بِأَحَدٍ تَبَوَّخَ الْكَنِيَّةَ . مَا قَالَ هَذَا عَادَ إِلَى
غَشَّوَهُ وَصَصَمَهُ وَانْما الْفَلامَ فَارْسَعَ إِلَى شَيْخٍ مِنْ مَشَائِخِ الْكَنِيَّةِ لِيَدْعُوهُ كَامِرَ إِيَّهُ
وَكَانَ الْوَقْتُ إِبْلَا وَالشَّيْخُ مِرْبَضًا . وَكَنْتُ فَدَ اِصْدَرَتْ أَمْرًا فَبَلَّ هَذَا الْوَقْتُ
بِقَضَى بَنَ الَّذِينَ عَلَى حَافَةِ الْمَوْتِ إِذَا شَعَرُوا بِحَاجَتِهِمْ لِلتَّوْبَةِ وَالْحَوَا فِي طَلَبِ الْمَغْفِرَةِ
يَحْبَبُ أَنْ يَتَحَوَّلُوا حَتَّى يَتَقْلُلُوا مِنْ هَذَا الْعَالَمِ وَقُلْبُهُمْ مَملُوءٌ مِنَ التَّعْزِيَّةِ وَالرَّجَاءِ بِالْحَادِهِ
الْأَبَدِيَّةِ . وَعَلَيْهِ جَانِي الْفَلامَ فَاعْطَيْتُهُ جَزْءًا أَمْنَ الْعَتَاءِ الْبَرَافِيَّ وَقَلَّتْ لَهُ إِنْ يَغْمِمَهُ
فِي الْمَاءِ وَيَصْمَدُ فِي فَمِ هَذَا الرَّجُلِ الْمَهْرَمَ . فَذَبَحَ الْوَلَدَ مُسْرَعًا إِلَى الْبَيْتِ وَمَعَ الْقَمَةِ
الْحَبْزِ الَّتِي اعْطَيْتُهُ لَهُ وَلَمْ يَقْرُبْ مِنْ مَدْخَلِ الْبَابِ كَانَ سِيرَابِيُونَ قَدْ عَادَ إِلَيْهِ رَسْرَهُ فَنَهَضَ
فَائِلاً . لَقَدْ جَثَتْ يَا يَانِي وَلَكِنَ الشَّيْخُ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْمُجْيِ . مَعَكَ فِيَكَ أَنَّمَا مَا أَمْرَتْ
بِهِ وَمِنْ نَمْ اَطْلَقْتَنِي بِلَامَ فَقَدْ اِبْصَرْتَ عَيْنَايِ خَلاصَ الْرَّبِّ . فَبَلَّ الشَّدَّ الْلَّقَمَةَ وَوَضَعَهَا
حَالًا فِي فَمِ إِيَّهِ الَّذِي لَمْ يَلِتْ حَتَّى اِزْدَرَهَا وَفَضَّتْ رُوْحَهُ إِلَى خَالَقَهَا . أَلَمْ يَكُنْ هَذَا
الرَّجُلُ قَدْ تَابَ تَوْبَةَ حَقِيقَيَّةٍ وَلَمْ يَظْلِمْ حَيَاً إِلَى أَنْ تَالَ الْمَغْفِرَةَ وَعَجَبَتْ جَمِيعُ ذَوَبِهِ ؟
وَهَلَا يَعْتَرِفُ هَذَا الرَّجُلُ الَّتِي مُؤْمِنًا لِأَجْلِ اِعْمَالِهِ الصَّالِحةِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي عَمِلَهَا فِي
حَيَاةِهِ وَعَنْدِ مَوْتِهِ ؟

وَقَدْ يَذْكُرُ الْقَرَاءُ الْكَبَرَامُ رِجْلًا أَسْهَبَ بِوَاسِ النَّاسِكَ وَهُوَ أَحَدُ
أَرْكَانِ الرَّهْبَيَّةِ فِي بِرِّ مَصْرُ نَشَاءُهُ أَنَّهُ رَجُلٌ فِي مَدْهَهُ هَذَا الْأَعْنَطَهَادِ وَلَكِنْ
شَهْرَتْهُ لَمْ تَلْغِ خَدْهَا إِلَّا بَعْدَ اِنْقَعْنَاهُ الْأَعْنَطَهَادَ بَعْدَهُ طَوْبَلَهُ حَتَّى أَنْ الْبَطْرِيرَكَ

ديونثيوس فلما يعرف شيئاً عنه. وكان مسقط رأسه مدينة طيبة الوسطى ومات أبواه وله من العمر خمس عشرة سنة وتركا له ارتانا وأفراً وأملاكاً واسعة ساعدته على التربية الحسنة التي شب عليها وكان بعد موت أبيه يقطن في منزل لاخته التي كانت متزوجة بزوج غير مسيحي وبقي عندها إلى أن حدث الاضطهاد الذي أثار غباره دينثيوس فاعتزل منزله في الارياف كان لصهره وذلك لكي ينجو بنفسه من هول الاضطهاد وولله لم يعكرت في هذا المنزل طويلاً حتى اندرته اخته بان زوجها عقد النية على أخبار الحكومة بمعرفة حاله وارشادها إليه حتى تقتضيه فيتمتع هو بماله وعقاره الذي يقول إليه بالارث من بعده. نظر على بالي بولس حينئذ قول السيد المسيح له المجد «من أحب أخاً أو أختاً أو حقولاً الخ أكثر مني فلا يستحقني». وعليه وهب أخته وزوجها جميع ما يمتلكه من حطام العالم وصمم على أن يعيش عيشة منفردة في الصحراء والقفار ولا يستأنس بأحد إلا بالله كما فعل القديس فردنتونيوس من قبله . بغا إلى شقيقته الوحيدة بودعها وداعاً لالقاء بعده وسار بمحث مطلياً الجد في عرض القلاء قاصداً الصحراء التي كان فيها فردنتونيوس على مسيرة يوم من نهر النيل إلى شمالي ممفيس وهناك صرف جزءاً من حياته في التجوال والطواوف يبحث عن مكان مناسب يقيم فيه إلى أن عثر بطريق الصدفة على خلوة تحيط بها كثبان وتلال فاصابت غرفة وأخذتها دار إقامة ما بقي من أيام حياته . وكان باب

هذه الخلوة غير ظاهر من الخارج فلا يستطيع أحد أن يصلحها إلا إذا كان عارفاً بها من قبل وعند مدخل الباب توجد درجة واسعة يمر بها النسم رطباً ناشفاً وهي محاطة من جميع الجوانب بصخور صماء يمس حتي على الأليل أن تمر عليها وليس بينها وبين القبة الزرقاء فاصل أو حاجز بل من كان داخلاً يسهل عليه أن يرى «السموات تنطق بمجده» والفقـل يخبر بعمل يديه» فهي من كل وجه تليق برجل يريد العبادة الانفرادية ويرغب فيها . واتفق أن بولس وجد في هذا المكان آلات عجيبة الصنع وكثير من المعادن القديمة صرت عليها حقيبات من الزمن وهي باقية هنالك لم تمسها يد بشـر فأخذ يبحث وينتف عن أصل هذه المعادن وسبب وجودها هنا فعرف بما كان عليه من العلم والتربية وفرط الذكاء أن هذا الموضع كان يستعمل لصك النقود الزائفة التي كان يستغل فيها المزيغون في عهد الملك كليوباترا الشهيرة . وأنهم شيء سر له صاحبنا هذا أن نخلة برزت من جوف الأرض ونمـت في هذه الخلوة وكان يجري تحتها ينبع صغير من ماء كالرـلال الذي لم يبق له أثر الآن كأنما قد غار في الرمال وانطفـى نـبره . فـي هذه العزلة الماء وصفـها أقام بولـس الناسـك وقضـى في زهـده بتولـيته مـدة تسـعين سـنة على ما يقال فإذا صـح ذلك فيـكون مـات وعـمره ١١٢ سـنة لأن عـمره كان ٢٢ عامـاً لما فـارق أهـله وذـويه وعـكرـف على الناسـك . وليس في هذه العـبـارة ما يـدعـو للمـجـب والـاستـغـرابـ بالنسبة لـطـول حـيـاة بـولـس الناسـك

خان، الباحث المدقق يعرف أن كثيرين من الناس المصريين عمروا طويلاً، لما بولس فكان يقتات في بادي أمره يلبح تلك النخلة ويشرب من ماء النبع الذي يناسب تحتها ولكن بعد قليل بلغ لخبره مسامع أهالي البلاد القرية منه وعلموا بما جيلوا عليه من البساطة والسذاجة أن رجالاً صالحآً تقياً جاء وقطن على مقربة منهم ولذلك وفدوه زرافات ووحداناً وممهم هدايا من خضار وخنز وكأنوا يستشرون في أمورهم ويهتدون بهديه في حل معضلات أعمالهم فكان ينصحهم في الأمور الدنيوية كما أنه كان يعظهم وبشرهم بالديانة المسيحية فذاع صيته في الأفاق وسمع به كل مصرى حتى إن انطونيوس جاءه قبل موته بقليل لزوجه النظرة الأخيرة ويقبل دعواته الطيبات وظل مقيناً معه إلى أن مات فوارmlandde^(۱)

وفي الوقت الذي فيه تبدى بولس العالم وعمد إلى الرهد كان مئات غيره في جميع البلاد المصرية تركوا كل شيء واتبعوا المسيح بطريق التسلك والاعتزال في الصحاوي والقفار ولكن قلماً يعرف شيء عنهم. أما اضطهاد ديشيروس الذي طال وأسر بطر قد انتهى الآن وجاء وقت الفرج بعد ضيق شديد وذلك أنه في أكتوبر سنة ۲۵۱ م قتل ديشيروس هذا في غارة شنه عليه سكان شهالي أوروبا الذين بدأوا

^(۱) في كتاب العلامه كريجلي عن «الناس» تجد مرجعاً وافياً عن تاريخ حياة بولس النساك وكيفية موته.

يبيرون على الملكة الرومانية في سنة ۲۵۰ وبعد موت هذا الامبراطور خلفه غالوس الذي أوقف سريان الاضطهاد، وقد كتب البطريرك ديموثيوس كتاباً بعد هذا الوقت بقليل إلى استفانوس أسقف رومانيا الجهد يثنى فيه عاطر الشمل على الكنيسة التي وضعت أحداً للشقاق الذي أوجده نوفاوس في الوقت الذي فيه كف الاضطهاد عنها ومنن وقعوا تحت طائلة اضطهاد ديسيوس القديس مركوريوس المعروف «بابي سيفين» وقد استشهد بعد عذاب طويل. هذا القديس له عند المصريين منزلة علياء فهو يجلونه ويحترمونه ولذا تجد لهم قد اتفقاً عنه أقصى احترام وخرافات لا طائل تحتها وبالغوا في أمره حتى قالوا أنه هبط من السماء لقتل يوليانوس المترفض ويؤكدون ذلك صحة هذه الخرافة، تأكيد من شهد الشيء بعينه فإذا راجعت كتاب مستر بيتر الانكليزي عن «الكنائس القبطية» تجد في الجزء الثاني منه روايتين من الروايات التي يتناقلها المصريون عن أبي سيفين هما من الغرائب، فكان أما أوريجانوس فقد أفرج عنه عند موت ديشيروس ولكن هذا الإفراج لم يمنع شيئاً بعد أن ذاق عذابات الاضطهاد ومصائب السجون فلم يعش بعد ذلك سوى سنة واحدة ومات في مدينة صور وله من عمر تسع وستين سنة ودفن في المكان الذي مات فيه وظل قبره معروفاً يحج إليه الزوار إلى أن جر الخراب إليه على هذه المدينة ولا شاهراً من الوجود، وقد بنيت كنيسة عظيمة فوق ضريحه كان يزورها

كثيرون من السياح والرواد وبقيت على عظمتها وأهيتها الى متصرف القرن السادس عشر اذ زال المكان الذي دفن فيه اوريجانوس ولم يبق له ذكر سوى في بطون الروايات والتاريخ . ولو ذهبت الان الى صور وسائل أهاليها عن ضريح اوريجانوس لاشاروا لك الى اطلال كنيسة قدّعه بنيت أكواخهم الان عليها وقالوا لك ان جسد اورينوس — وهو اوريجانوس عندهم — مدفون في قبو من قباب تلك الكنيسة هو الان تحت الارض

ومع ان تاريخ قرطجنة لا علاقة له بتاريخنا هذا ولكن الازرى مندوحة من ذكر لغة منه بها يظهر الفرق بين الكنيستين العظيمتين في افريقيا هما كنيسة مصر وكنيسة قرطجنة وفيها تتضح صفات اعظم الرجال الذين بنعوا منها في ذلك العهد . فلناخذ اثنين من كنيسة قرطجنة واثنين من كنيسة مصر مثلاً على ما يلي . فمن الاولى طرطوليانيوس وهو رجل عمر طويلاً ومات في مدة الامبراطور ديشيوس ثم كبرياتوس كان في ذلك الحين قد بلغ شاوة يذكر من السلطة وطيب السمعة . فاذا انت قرأت ما كتبه ذاتك الرجال وقابلت كتاباتهم مع ما سطره اكلينفس او اوريجانوس تجذب كثيراً وتسأل عما اذا كان هؤلاء الاربة رجال قد بنعوا في وقت واحد . ويعتقدون اعتقاداً واحداً . وكان يمكن ان الكنيستين تكونان على نظام واحد خصوصاً وانهما زرعتا في ارض واحدة بيد رجل واحد ذرعها تحت سماء واحدة ولكن الفرق وجد من ان كبية

الاسكندرية كانت مصرية النسبة والاصل يونانية اللغة واما كنيسة قرطاجنة فكانت فيزيقية النسبة والاصل ولاتينية اللغة والذى يجده نفسه للوقوف على كهـ الكنيستين الافريقيتين يأخذه العجب والاندهاش عند ما يرى الاختلاف العظيم بينهما في السجاكا والتعاليم . ولو ان هاتين الكنيستين عسكرا بتعاليم الديانة المسيحية الجوهرية واعترفتا برب واحد وهو الله واحد الا ان هذه التعاليم كانت مثل القمر يظهر نصفه منيراً جلوءاً من العالم بينما النصف الآخر المظلم الذي يبعد عن الشمس يكون ظاهراً لجزء الآخر من سكان الكورة الارضية ولكنه مظلم . ففي هذا القياس كان قانون اليمان المسيحي يظهر تمام الكنيسة المصرية كنور لامع وضوء ساطع ويتخلى امام اعين كنيسة قرطاجنة ككتلة من الاسرار المبهمة والرموز الفامضة والتي لا يحدها العقل ولا يتصورها الادراك . او اذا سالت طرطوليانيوس او ريجانوس او اوغسطينوس عن فوائد الدين المسيحي لا جابوك بمحبيهم بجواباً واحداً ولا تفتقوا بما في جوهره ولكلهم مختلفون (أي المصريون والقرطاجيون) الاختلافاً كبيراً في عمله وتأثيره في اقوفهم وآخلاقهم اذ ترى القرطاجي مثلاً يسلك الطريق المسيحي من غير الوجبة التي يسلك فيها المصري ولمل سبب هذا الاختلاف والبيان في سلوك الكنيستين مختلفهما في دياناتهم ما الوثنيين القدیمین للتيين ظلل تأثيرهما حتى بعد اعتناقهما الدين المسيحي «فإذا»

بحثت مثلاً في ديانة القرطاجيين القدیمة وجدتها ديانة مرکبة من عقائد ضارمة وعوائد فاسدة ففضى بتقدیم الذبائح البشرية وتحم على المتمسكين بها وجوب الانتقام من لاسي ولو طال عليه المطال ومررت عليه الأيام ولليال وهي عادات لافتة فراهن كان القوم يفتخرن بها ويتباهون بأنفاذها فلما دخل القرطاجيون داخل حظيرة المسيح وليسوا ثوب لدیانة المسيحية القشيب ضعفت فيهـ روح القدس وجوب الانتقام ولكنها لم تنزع تماماً بل ظل اثرها موجوداً في صدورهم كما تشاهد اثر الشبس في الانف عند المغيب ولذلك كان طرطوليانيوس مثلاً يعتقد ان الله هو الله يسر بعذاب مخلوقاته التي تشد عن طاعته ويفرح بالانتقام من الذين يخالفون ويحيدون عن طريقه السوي وانه يفقد ذنوب الآباء في الابناء ويدخـ العقاب من جيل الى جيل . ولما كان العابع البشري يغـيل من عادته الى مثل هذه المياديء ويود لو ان يصرخ للانسان ان ينتقم ويقاوم كل من ينـيهـ ويغضبهـ عمـ هذا الروح كلـ الكنيسة الفربـةـ التي سارت على تعاليم او غـصـطـينـوسـ منـ حيثـ تشـدـيدـ العـقـابـ عـلـىـ كـلـ مـنـ اـسـاءـ وـلـوـ اـنـاءـ صـغـيرـةـ وـتـشـيرـ كلـ بنـ اـقـتـرـفـ ذـنـبـ وـهـوـ تـلـيمـ صـارـمـ جـرـتـ تـلـيـهـ الـكـنـيـسـةـ الفـرـبـةـ فـقـلـاـعـنـ كـنـيـسـةـ قـرـطـاجـةـ بـيـنـماـ رـفـضـتـ تعـالـيمـ اوـ رـجـانـوسـ التيـ تـأـمـرـ بالـحـمـةـ وـالـسـاهـلـ وـالـسـاحـةـ وـنـصـ الطـرفـ عـنـ الـهـفـوـاتـ وـالـذـنـوبـ وـتـجـاهـاتـ توـاضـعـهـ اوـ دـمـائـهـ اـخـلـاقـهـ وـلـمـ تـكـفـ بـذـلـكـ بلـ حـكـمـ عـلـىـ بـالـهـرـطـقةـ وـالـبـداـعـ وـلـاـ ذـنـبـ لـهـ يـسـتوـجـبـ ذـلـكـ الـهـمـ الاـ انـ يـكـونـ عـلـىـ اـفـكـارـهـ

وغرارة مادته وتجره في العلوم والمعارف التي كانت تسر بها نفسه ويصبو إليها قلبه . والنتيجة أن الكنيسة الغربية استهانت تعاليم أوغسطينوس الصارمة وحسبته ضمن أعمدة الكنيسة بينما خطأمت روح أوريجانوس الحية وشجعه شجاعاً ولا عجب في ذلك ولا غرابة ما دام الإنسان يميل إلى ما يوافق طبيعته المنحطة وافكاره الساقطة فكنيسة قرطاجنة التي مر بك وصفها قد زالت من الأرض واحتفى منها العين والآخر وأما الكنيسة المصرية فلم تزل باقية لليوم ولم تختلف شيء عن الكنيسة الاصولية بل هي رسم جوهرها وصورة مجدها . وقد وصفها أحد العلماء العصريين - هو مستر بتر الانكليزي - المشهور عيله إلى الكنيسة القبطية وجده لما فتى أن نظام هذه الكنيسة يمتاز عن نظام الكنائس الأخرى شرفاً ورفعاً لتجريده من كل ما يشين وبهين وإنها أسي الكنائس ولو أنها وصلت الآن إلى درجة من الانحطاط يأسف عليها محبوها . والذي يرفع الكنيسة القبطية في أعين المقادير هو أنها قاتلت من الاضطهادات المريرة ما يكفي لاضمحلال الممالك وعانت من العذابات والمشقات ما لم يقع لاي كنيسة أخرى في العالم ولكنها لم تزل حية نامية وقد ساعدتها على الحياة الفاوية هذه روح الرجاء والأمل اللذين نفعاً منها وثقتها الوطيدة في مخلصها وفاديهما . وإذا انت حلقت الكنائس المصرية ودخلت افتر واحقر كنيسة من الكنائس القبطية لرأيت علامات الرجاء والأمل تبدو على جدرانها وقلما

شاهدت فيها صورة تشير إلى جهنم أو عذاب مقبل بل قلماً وجدت فيها تمثال ججمة باهته ولا هيكل عظام عار مما يشير إلى آلام وسقام ولكن ترى شهداءها يتسم تمايزهم المرسومة على الجدران كأن ما قاتوه من العذابات والاضطهادات لم يكن شيئاً يذكر بل أصبح نسجاً منسياً وهناك تشاهد القديسين الابطال مصورين بشكل يدل على انهم قتلوا ثعباناً أو أحد رؤساء هذا العالم الشرير دون ان يجدوا في قتلهم عناه يذكر اما آلامهم او وجاعهم فليس لها اثر في ذلك الرسم كما لا تجد صورة تمثل الخططيء بعد موته مما تتميز منه النفس وتنكش لمرآه الروح . فهو لا الاقياء الابرار الذين اسووا الكنيسة القبطية بدمائهم كانوا يطربون انفسهم بين يدي الله وهم مسرورون فرحاً كأنهم كانوا يطلبون رحمة منه على الذين كانوا يضطهدونهم ويديرونهم الخسف والجلود .

الفصل التاسع

اضطهاد فالريان للمسيحيين . سنة ٢٥٤ ب . م

بعد موت ديسيوس تزاحم القوم وتشاركونا كعادتهم للحصول على الملك وانهى الامر اخيراً بارتفاع غالوس العرش الملوكى . وظل قابضاً على صولجانه مدة ستين ثم استلمه ابنه ايليانوس الذي نادى نفسه امبراطوراً وبقى مقيماً بضعة شهور في مقاطعة بانيونيا . ففي هذه المدة خفت وطأة اضطهاد عن المسيحيين ولكن داء الدفتيريا (الخانوق) الذي اشار اليه

ديونيسيوس في جواب يلي كان قد انكسر في البلاد ربما قبل حكم غالوس وبمده وفي شهر يوليو سنة ٢٥٤ بـ ٠ م ثوادي بفاليان امبراطوراً على الملكة الرومانية وهو رجل من سلالة عائلة رومانية طائرة الصيت كان قد تقلب في اهم مناصب الحكومة ورتبها وبعد ان استتب له الامر اشرك معه ابنه غالينوس في ادارة شؤون الملكة . وقد رأيت فيما مر بذلك ان الامبراطرة الرومانين كانوا يتغافبون بالسرعة على الكريبي الامبراطوري ولم تطل مدة احكامهم بل كانوا يمرون على العرش من السحاب في الصيف ويظهر ان داء التغير السريع والابدال المتواتي عم الاساقفة رومية ايضاً فساواها امبراطورهم في كثرة التغير والتعاقب فانه منذ عهد تعيين ديونيسيوس بطاريركا للكنيسة المصرية تعيين في رومية من الاساقفة فابيان وكرنيوس ولوشيوس واسطفانوس ثم اكسيستوس الذي كتب له ديونيسيوس في ذلك العهد كتباً بشأن رجل عمدة المراطقة المشار اليهم هم من اتباع نوفاموتوس اسقف رومية الغير القاتوني الذي كان يعلم بعدم وجود مغفرة للخطايا التي يرتكبها الانسان بعد عماده وهو تعلم اثر تأثيراً سىء العواقب في انه جعل الكثيدين يؤجلون عمادهم الى ساعة احتفارهم كما فعل الامبراطور قسطنطين . وقد سار فاليان على الخطوة التي سار عليها اكثر الامبراطرة الرومانين في انه اظهر ميلاً وازدواجاً نحو المسيحيين في اوائل حكمه وكان قصره

منتدى يؤمه المسيحيون وكثيرون منهم استخدمواعنه . الا انه كان مغرماً كثيراً بحكمة المصريين القدماء وعلومهم يحب المتضلعين منهم بهذه العلوم حتى انه اتخذ احد المصريين واسمه مكريانوس الحاكم القضائي مشيراً له وكان يثق به تمام الثقة وكان البطريرك ديونيسيوس يلقب مكريانوس هذا « استاذ السحررة المصريين ورئيسهم الاعظم » وربما كان يقصد بذلك مالكريانوس من التأثير الشديد في عقل الامبراطور كما كان يوثر كثبة المصريين القدماء في اذهان الملوك ويتقادونهم وراءهم . وعلى اي حال فان مكريانوس كان متسلكاً اشد التشك بياداته اجداده القدماء ولذلك كان لا يفك يلح على مولاه الامبراطور ليقنعه بار المصائب التي تحيق بالملكة سببها تعاضي الآلهة الحتيفين « يقصد بهم آلهة المصريين القدماء » عن الملكة واهماهم شأنها والتاريخن الناس باز يعتقدوا بخراقة لا اساس لها وهي صلب ذات النجار « اعني بـ يسوع المسيح » . وقد صادف قول هذا الرجل قبولاً خصوصاً وان الملكة كانت في ذلك الحين واقعة في اشد المصائب ومحاطة باقوى الملائكة لدرجة لم يسبق لها مثيل اذ اكتنفها البراءة وسكان شالي اوروبا والجرمانيون والفرنساون والبورغنديون والفرس من كل ناحية وانهاروا على المقاطعات الرومانية كالسيل الجارف وكانوا ييشون في الارض فساداً ويملكون الردع والضرع في كل بلدة وطائتها اهداهم وصاروا يجرون في طريقهم مدينة بعد اخرى مبتدين من طاراقونا في اسبانيا

إلى إنطاكية في سوريا . وما زاد العلين بلة أن الدقيريا التي بدأها قبل موت ديشيوس زاد انتشارها وعم بلاوها خصوصاً في بر مصر حيث بقيت خمس عشرة سنة تُعمل في الناس فعل الصارم البار . وقد القى البطريرك ديونيسيوس تبعة تجديد الاضطهاد على عاتق مكريانوس وعزى إليه سبب كل شر وقع على المسيحيين وهو أمر لا يستوجب الريب لأن مكريانوس عدو لدود لديونيسيوس ورعايته دينياً وقد عرفنا أنه ملاه قلب الامبراطور بعضاً وحقداً على المسيحيين أخوه في الوطنية الذين لم يتكلما لهم كلمة واحدة توجب الشفقة والحنان

وقد عامت فيما مضى أن جرمانوس أحد أساقفة الأقاليم المصرية كان قد أرسل إلى بطريركية ديونيسيوس يلومه لأنه هرب في أيام الاضطهاد الذي استدنه ديشيوس وقد عاد جرمانوس فارسل جواباً إلى ديونيسيوس أيضاً يعنده فيه لأنه امر بابطال الاجتماعات الجمهورية في الكنيسة فرد عليه ديونيسيوس بكتاب يصف له فيه كيفية القاء القبض عليه وأحضاره مع قومه أمام الوالي واعترافهم جميعاً بما يعلموه وكيف انهم أرسلوا أسرى ليُسجّنوا في مكان اسمه سيفرد شمالي القطر المصري . قال ديونيسيوس : —

« ولما حلانا سيفرد التق حولنا جم غفير من الأخوة الذين جاؤا معنا من الإسكندرية ومن الذين وفدو علينا من مصر بعد وصولنا إلى هنا أو هكذا مهد الله سيدلا لكلمة في هذه الجهة كما في كل الأماكن الأخرى . صحيح أن أعدانا في بادي، الأمر أصله دوينا ورشةونا بال أحجار ولكن أحيراً ترك كثيرون توالي انعقادها لساعات كله الله حتى بعد ان تركناها ورجعنا إلى مدinetنا ،

من الوئذين أصنفهم وبذوها ظهر ياً واقتدوا إلى الله بقلوبهم لأن كلته غرس في افتشتهم كما يغرس البذار في أرض ذات زرع وكانت لم يسمعوا عنها من ذي قبل . وكان الله جل وعلا اراد ان يأتي بها إلى هذا المتفق لنذيع بشري الخلاص فيه فلما تم ذلك و AFLIخنا شاهد مشبه ان نقل إلى مكان آخر هذه الغاية عينها وذلك ان إيمانوس ابن الامبراطور غالوس قصد ان يتقى إلى اماكن اشد ضرراً وأكثر تعباً مشحونة بالخوف والخطر ثم اصر مكان اقام مربوط ان يلتقطوا في مكان واحد خصص لهم وعين لهم قرى معروفة يقيمون فيها فيما بعد اما نحن والذين تبعونا فاوصى بأن نبقى مطروحين في الطريق بلا مأوى ولا ملجأه لأنه لم يكن يشك في اتنا اناس لا نرکن للفرار ولا نتيل للهرب بل وتف انه متى اراد يسهل عليه القبض علينا بدون مشقة . ولا اخفى عنك انه عند ما صدر اليه الامر بالارتحال إلى سيفرد هذه لم اكن اعلم إلى اين اسير ولا اعرف شيئاً عن المكان الذي اتفى إليه بل كنت بالكاد اعرف اسمه من قبل ولكني كنت فرحاً جداً لعلمي ان هكذا كانت اراده الله الا انه لما اسروني بالاستقالة إلى مكان اسمه كولونيس تأثرت تأثيراً شديداً الحاضرون لأنني علمت بأن هذا المكان سيكون سجين لي لا استطيع فيه ان اتم العمل المطلوب بي ولذلك تضاعفت اولاً لهذا الخبر وتقل سعادتي على اذني مع التي كنت عالماً بهذا الافليم واثر خبرة به من غيري ولكن قبل لي انه خال من الاخوة المسيحيين وايس فيه احد من افاضال الرجال الذين تلتذ الفتن لعشرتهم فضلاً عن انه عرضة لوقاحة الماسنجر ورذائهم ومكمن للصوص وقطع الطريق الا ان بعض الاخوة واسوني اذ اخبروني انه قريب من مدينة الإسكندرية . وعما يسر القلب ان سيفرد التي تقينا إليها جمعنا بكثيرين من الأخوة المسيحيين الذين لم نكن لترأهم لولاهما وبواطة اجتماعنا وارتباطنا تكنا من نشر كلة الله واذاعة خبر الخلاص بطريقة لم نكن نحصل عليها لولا هذا المتفق . واد كانت الإسكندرية قرية من المكان الذي كان يقيم فيه تجتنا كثيراً بمشاهدة الذين نجدهم ونخيل إليهم وقد كانوا يجتمعون لزيارتـا دائماً ويكثرون معنا طويلاً ولذلك كنا نعتـل جمـعـة عـظـيـمة كانت تلتـمـ في اقصـى مـكانـ منـ الإـسكنـدرـيـةـ وـلـمـ تـرـأـ هذهـ الجـمـعـاتـ توـالـيـ انـعـقـادـهاـ لـسـاعـاتـ كـلـهـ اللهـ حتـىـ بـعـدـ انـ تـرـكـناـهاـ وـرـجـعـناـ إلىـ مدـيـنـتـناـ ،ـ

قال يوسيوس ان بين القسوس والشامسة الذين اشار اليهم ديونيشيوس في جوابه المار ذكره قس اسمه فوستس استشهد في الاضطهاد الذي اوجده ديوكتيان كاسيميسي، وكان قد بلغ من الكبر عتيقاً . ومن الذين ذكرهم ديونيشيوس في جوابه مكسيموس الذي عين بطريركاً بعده ويوساب الذي سيم فيها بعد اسقفاً للادوكية وما رواه ديونيشيوس انه بعد ان آب من منفاه الى الاسكندرية لم يجد من شمامسة الكنيسة سوى ثلاثة فقط مع انه ترك عدداً وافراً منهم ظلوا مختبئين في مکانهم وكانوا يتهدرون الفرس ليعطوا الاخوة وبشر لهم ولكل منهم ما توا جيدهم بدأء الدفثيريا ولم يبق الا اولئك الثلاثة المذكورين وهم فوستس ويوساب وكويرموسى

وقد استمر اضطهاد فالريان للمسيحيين مدة ٤٢ شهراً وانتهى في سنة ٢٦٠ م اذ وقع هذا الامبراطور في ايدي الفرس حياً وظل في اسرهم الى ان مات وكان قد خلفه ابنه غالينوس الذي عقد محالفة مع اوديناؤس ملك تدمر (الميرا) واخذه له صديقاً في الشرق الادنى وفرض اليه الدفاع عن حدود المملكة وصد هجمات الفرس عنها . وكان من اعمال غالينوس ايضاً انه ابطل الاضطهاد حتى تسنى للبطريرك دنيشيوس ان ساح في العطار المصري سباحة طولية اقتضى فيها رعيته التي كادت تفرق ايدي سبا من احوال الاضطهادات كما انه دشن كنائس ورسم خداماً لها حسبما دعت الحاجة الى ذلك وبذل

جهده في تعزية شعبه ومواساته في مصائبها كما هو الواجب المحتم على كل داع صالح ولما وصل في سياحته الى ابو روبيته اوسيينو في (القيوم) وجد فيها شقاقاً ما كاد يبتدىء حتى استفحى أمره وخيف من نتيجته واتماماً للفائدة نأى على وصف هذا الشناق واسبابه وكيفية تصرف هذا البطريرك لازالته فنقول كان في هذه الابروبية قبل ذهاب البطريرك اليها اسقف اسمه نيوس اشتهر بالعلم والفضل وسمو المدارك حتى ان شعبه كان يثق به ثقة الاعمى بدلائه وينقاد اليه انقياد الخراف لراعيها . هذا الاسقف اخذ يعلم وعيته تعليماً جديداً وهو قرب الزمن الذي يعث فيه المسيح الف سنة على الارض ملك ارضي يأتي نفسه ويتولى الملك بذاته وقد فر لهم كل ما ورد عن هذا الموضوع في سفر الروايا تفسيراً حرفاً والفال كتاباً اعتبرض فيه على الذين يذهبون الى ان ما جاء في هذا السفر هو مجاز محض ثم اتجه كثيراً في اثناء حياته باقناع شعبه بقوله هذا التعاميم فقبلوه على علات دون خصن او استقصاء عما يعتقد به باقي اخوهم المسيحيين في المكونة . وحدث بعد موته ان اشتدت بينهم الحادلات والباحثات في هذا الموضوع واخيراً انتق منهم جماعة اتخذت رجل اسمه كراسيون زعماً لها . وكان لحن الحظ ان شعب الابروبية ياكله اتفق على رأي واحد هو استئناف الحكم في هذه المسألة للبطريرك حال وصوله اليهم لا اعتقادهم بكفاءته على حل المعضلات وفض المشاكل . فلما جاء

(ديونيسيوس عندهم اجتمع حوله القوم فocabاهم بكل بشاعة وainas بدون تمييز احدهم عن الآخر ودعا اليه كهنة وشمامسة الابروشية وبعض علماء العلائين الذين استخرجهم لهذا التعرض واقتراح عليهم البحث والمناقشة في هذا الموضوع ولكن بروح الاخلاص والمحبة وان تقرره على مسامعهم النبذة التي كتبها نيوس في هذا الصدد بصوت عال ثم يفحصونها وينقبون فيها الى ان يتوصلوا لرأي سديد يقر قرارهم عليه ويكون القول الفصل في هذا المشكل فيتحملي الامر على عالم الصفاء والوئام . فرضي الشعب بهذا الرأي الثاقب وظلوا ثلاثة أيام متواصلة يلشون من الصباح الى المساء حول البطريرك الذي كان جالساً في وسطهم — كما ترى في ايامنا هذه بعض الشائخ يجلسون في حوش الجامع الازهر وحوطهم المجاورون يتکاؤن عليهم كلها كؤهم على ذي جنة يسألونهم ويستفسرون منهم ولكن الفرق بين هؤلاء واولئك ظاهر كالصيح — وكانت نتيجة هذا الاجتماع ما استقر به في الرسالة الآتية التي كتبها ديونيسيوس نفسه وهي

«انه يسرني جداً ان اعلن على رؤوس الاشهاد ما شاهدته في هؤلاء الاخوة من الثبات والاخلاص والمحبة والذكاء عند ما بدامنا بالبحث في هذا المضلع وكيف تبادلوا الاراء وتناقشوا في الاسئلة والابحاث بروح الاعتدال والمدواد فعيينا بقدر الامكان الاصرار على صحة الارفكار التي سبقتنا ولو ثبتت صحتها قبل ان نحسمها جيداً وتحتها كثيراً كما انتم نصرف جهودنا في المعارضات والمحاكبات بل سعينا جهد استطاعنا في ان لا نشذ عن الموضوع الذي نتافق فيه ولا ان نتركه الى غيره قبل ان نثبت فيه حكماء نهائياً . ومن احسن ما يقال في

هذا الثناء انه اذا عرضنا لاحدنا ان يغير فكره في ما يعتقد وشر بخطائه لا يخجل في اعلان ذلك والمدول عنهم طريق الصواب بقوة الحجة ومتنه البرهان بالخلاص وطهارة قلب ما دامت غابت الاقناع بها ورد في كتاب الله العظيم والسلام بتعاليمه المقدسة . وكانت النتيجة ان كوراسيون - متبوع اهذا التعليم ورعيته اعتزف امام جميع الاخوة جهاراً بخطائه وعقد النية على مسمع منا جيماً بان لايمود يشك بهذا التعليم ولا يتباحث فيه مع احد ولا يفووه بفت شفقة فيما يتعلق به وذلك بعد ان اقتضى تمام الاقناع بضاد اوانه وصحة آراء الذين يذهبون غير مذهبهم وقد سر جميع الحاضرين النتيجة هذا المؤتمر الروحي وانتوا يتلون ويشكرن ما شاهدوه في بعضهم من الميل الى الاسلام والابعد عن كل ما يوجد الشقاوة والخream و لم يكتف ديونيسيوس بذلك بل خطى على باله فيما بعد ان يدخل هذه الافكار كتابة فالله فذلكة دعاهما « المواجه »

الآلهة » لتفطئ منها ما يأتي : -

« لقد نسب البعض بما كتب نيوس وجعلوا له اهمية عظيمة كان ذلك الرأي من الحقائق التالية التي لا يمكن دحضها حيث اكد لهم ان السبب سوف يعلق ملكاً ارضياً هذه هي المسألة التي اختلف فيها مع نيوس واقضيوا نصفاً ولما في ما عدا ذلك فاني وایام على مبدأ واحد كما اني اقول صراحة انني احبه جباراً مبتداً لا تؤثر فيه المذاقات ولا يزعزعه اختلاف في الرأي ولا انكر اني اقدر هذا الرجل حق قدره لقوته ایمانه وقواته وتعلمه في الكتاب المقدس ولأنه انسان شديد الذكاء حازم الفكر حتى انه وجده التفاهه مرة لمل تلحين المزامير للتربيه فقاد الكثيرون بهذا العمل الجليل وانصر اذهانهم . وما زلت احترم هذا الرجل واجبه لانه مات موت الاقياء العسالين وفارق هذا الدار الغانية دون ان يرهبه الموت او يخشى خلمة الرمس والنتيجة انه يجب على كل عاقل ان يحبه ويفضلها على كثيرين غيره . اذا فردي عليه ومحني فيها كتبه ودحضي لافكاره لا يعتبر عملاً عدائياً له لانه اذا تخمن علينا ان نقبل الحقيقة ولو كانت سادرة من اعدائنا ونجاهر باحساننا لاصدق

ولو كان من أقل الناس واضعفهم كذلك بحسب تقویض اركان كل قول لم يكن على
ناس متين وتسفيه كل رأي لم يؤمن على المبادئ. الصحيحة والتمام الحقة ولو
صدر هذا القول من اعز الناس لدينا واكبرهم مقاماً عندنا . ولو كان نبيوس
حيالاً اقدمت على الرد على افكاره كتابة بل لاكتفيت بالبحث الشفاهي منه
حتى اخفيه بقوة البرهان واستعمله مع انصاره لجانب الحق بواسطة اللسان فقط
ولكن حيث ان تعاليمه هذه نشرت مكتوبة توأم الناس لتصديقها والاقناع بصحتها
كانه من الجهة الاخرى يوجد بعد معلمين يذهبون الى ان التاموس والآباء لا
قيمة لهم ثم تدرجو بعد ذلك الى سيد الانبياء والازدراء برسائل الرسل واذاعوا
ان تعاليم نبيوس هذه انا هي سر غامض لا يتنفس لاحد حلها مع ما فيه من الاهمية
وهم يهلكون كل ذلك ولا يفهمون شيئاً عن الحقائق المسيحية ولا يدركون معنى
ظهور مخلصنا الثاني ظهوراً آهياً مجيداً ولا يفهمون كيف اتنا فهم في يوم القيمة
اذ تغير من شكلنا الحاضر وتليس صورة الله حيث ثلثني معه في السحب عند
ظهوره ليدين الاحياء والاموات الامر الذي لا يدركه او تلك المتفاسفين زوراً بل
هم يستقدون بذلك ارضي زائل لا نتيجة له ولا فائدة منه ولا هو من التعليم التي
نؤمن بها الكنيسة - فلا جل هذه الاسباب جميعها الجاتي الضرورة ان الماقفين
اخينا نبيوس كانوا حياً وارد عليه كتابة حتى ازيل ما علق بالازهان من تعاليم
تافهة وخرافات محنكة لانثرتها منها

ولم يقتصر البطريرك ديوينيسيوس في كتابه السالف ذكره على الرد
على نبيوس بل افاض في البحث في سفر الرؤيا بحثاً دقيقاً وأبان الخطأ
الكبير في فهم هذا السفر بمعناه الحرفي وقال انه عبارة عن رؤوز ونبوات
تم بعضها وسوف يتم البعض الآخر ثم أورد البراهين والادلة على ان كاتب
هذا السفر ليس هو هنا الرسول ولكننه قال صريحاً ان الذي كتبه هو
شخص اسمه بونينا ولا ينكر انه سفر وحي به من الله وان الذي

سعاره هو رجل أوصي اليه من الروح القدس . ثم قال انه يمدح يكون
كاتب انجيل يوحنا هو ذاته الذي كتب سفر الرؤيا الا انه اسئلتك و قال
اما انمايلاً يعنى ان ابدي رأياً خصوصياً عن هذا السفر كأن يكون
منع قرائه والتعريف على عدم البحث فيه ما دام اكثير الاخوة
المسيحيين يجلونه كثيراً ويميلون لطائفته وفهم رموزه ميلاً ظاهرآً
فما تقام يتضح للقاريء الخطأ التي سار عليها البطريرك ديوينيسيوس
في الاتقاد والروح الذي استعمله في تزييد الاراء المعاذرة للتغایر الميسحية
وذلك انه كان يفهم كلامه بالحججة والبرهان شأن الباشر المدقق والاعتراض
المحقق لا بالمهاترة والبهتان وهو دأب قابل البضااعة حيف التوى المغالية
التي يفاخر ويهاقر بكلام مبروش لا فائدة منه من يريد الفائدة ولا حجة
فيه لمن يفهم البرهان . الا ان ديوينيسيوس لم يكن لديه من مشاغل
وظيفة، وقت يساعدته على الainمال في هذه المؤلفات والردود بل ان
رسائله الرعوية التي كان يبعث بها للمساقفة والكنيسة والشمامسة واعظاً
وحوائطاً على العمل في كرم الرب لم تدع له فرصة للاشتغال بغيرها بل كان
بالكاد يكتبهما ويرسلها اذا ساعدته الظروف على ارسالها في هاتيك الايام
الصعبه التي كانت اذا تحدثت نار الاضطراب قليلاً التهبت نار الحرب
الاهلية طويلاً بين اوثلک الامبراطوريات الدين كانوا يخاصمون ويتناقضون
على العرش الروماني حتى ان الامن والسلم لم يكن لهما سبلاً في هذه البلاد
في هذا الحين وضع مكر بانيوس المصري الوثني التابع الملكي على رأسه

وهي ایضعاً كل الملكة تحت سلطته ويضمها تحت لوائه . الا انه كان من الصعب على مصر التي اصبحت الآن مسيحية ان قبل هذا الرجل حاكماً عليها ولو انه من طهرا ودهرا ولكن اظهر عداوة مرة لا يتأثرها المسيحيون وناصبهم الشر والمدوان من قبل الآن . وقد شر بذلك ايميليانوس الوالى فقام في وجه مكينانوس هذا وفي وجه غالينوس الذي كان يعيش في رومية عيشة مصرف خامل فاتحيل ايميليانوس لنفسه اسم «اسكender» وحكم مصر مدة قصيرة اظهر فيها كل انواع الشدة والمنف ولكنه جال يفتقد احوال البلاد وطرد منها البرابرة الذين جاءوا من الجنوب وارجهم القفارى الى السودان بشجاعة وسرعة لم يجدوا بها من قبل ، ثم انه ابطل الجزية التي كانت ترسل الى رومية فتفاالت مصر خيراً باعادة استقلالها الذي فقدته من قديم . ولم يزهد غرس ايميليانوس حتى جاءه بودوتس قائد جيوش غالينوس وشن عليه القارة في الاسكندرية فاصداً بذلك استخلاص الملكة الرومانية في يده فامسرع ايميليانوس وتحصن في حي برونيوم حيث القصر الامبراطوري وحاصره بودوتس حصاراً شديداً بعد ان استحوذ على ما بقي من المدينة . وفي ذلك الوقت كتب البطريق ديونيسيوس كتاباً الى هيراكلس أحد اسلفة مصر يصف فيه الحالة وصفاً دقيقاً حيث قال : -

«من الامور التي توجب العجب والاندهاش انه كثيراً ما قامت في وجه صمويات جة فيها يختص بارسال رسائل الى الانحاء النائية

بينما قد اصبحت الان في مرکز يحتم على ان احتاط لنفسه من العوائل واندبر في اسر به امنع الشر الذي يحدق بي في هذه الايام السوداء كما اني اشعر بضرورة قصوى في ان ارسل مكاتب دينية ومواعظ وجوابات ودية الى الخوبي في الرب الذين احبهم كنفسي واعزهم كدقه . حني الذين هم اعضاء الكنيسة واركانها ولكتني احتوت في كيف ابعث بهذه الرسائل اليهم اذ انه يسهل على المرء ان يجوب البلاد من مشرقها الى مغربها ويطوف سهولها وفيافيها ولكن يشق عليه جداً ان يسير في احد شوارع الاسكندرية او ان يخطو خطوة فيها في هذه الايام التي اشتد فيها الحصار حتى اصبحت المدينة خربة وسار يسر المروود فيها أكثر من خراب تلك الصحراء المعقرة التي سار فيها بنو اسرائيل عبر وها في مدة يومين سنبولة لا نشعر بها نحن الان في الاسكندرية ومن الغريب ان البحر قام للاشتراك في هذه المصائب فانك ترى مينا الاسكندرية التي كانت صقيقة كالمرأة والبحر ساكن هادئ ، وادا به الآف يبح ويهدو ويعلو وينخفض فاشبه بذلك البحر الاحمر الذي انقسم الى شطرين وقامت مياهه كالأسوار المنيعة على الجانبين الى ان عبور فيه شعب الله وبتهم الم Crosby فاطلق عليهم وغرقو في لجه وراحوا في غمارتهم ولم يكن وجه الشبه بين بحرنا والبحر الاحمر انساماً وهدرها فقط بل ان بحرنا اشبه هذا في اللون ايضاً وامست مياهه حمراً كالبقم لكثره ما سال فيها من دماء المذبوحين الذين فارقوا حياتهم بالقرب منه حتى

ان النهر^(١) الذي كانت امواجه تفيض وتکاد تعم المدينة اصبح الان وهو انشف من صحراء محروقة وأقفر من القفر الذي عطش فيه بنو اسرائیل حتى اوشك ان يقتلهم الطلاء عندما تزمروا على موسى فقام وضرب لهم الصخرة ففاضت منها المياه زلازل بقوة الله القوي الذي صنع العجائب والمعجزات في كل دور وجميل . فهذا النهر الناشف المفتر قد يفيض احياناً ويصفع على البلاد المجاورة له حتى يخنق الناظر ان طوفان نوح الذي غمر العالم قديماً ووعد الله بعدم اياته ثانية قد عاد الان وملا الشوارع والحقول ولكن نهرنا هذا يهضن وقد اختلط ماؤه بدماء القتلى واشلاء الفرقى وجثثهم كما حدث قديماً في ايام فرعون عند ما ضرب الله للصريين على يد موسى . يقول نهرهم دماً احمر وان النهر اومات كل ما فيه من السمك . فإذا كانت الماء قد صارت كما وصفت ذلك من القсад والقداره فلن يطرأها وينطفئها وهي واسطة التطهير والتنقية وهل يستطيع هذا البحر المحيط العجاج ان يجرف في سببه كل قدر اعتى هذا النهر الرائق الصافي الذي اصبح الان من الزاق ؟ وهل ينتظر ان ذلك النهر العظيم الذي كان ينبع من جنة عدن وينقسم الى اربع رؤوس منها نهر جيجون يزيل هذا الماء الملوث الذي تعافى النفس ؟ ثم ما يصبح هذا الماء نقياً وذات النسم العليل بليلاً وقد فسد وصار يخنق الناس ويفسق الانفاس لكثره ما امتزج به من البخار المعتلى بالغازات السامة المعينة ؟ فلقد

(١) ان المقصود بالنهر هو ترعة كانت متصلة بالاسكندرية اما نهر النيل فلم يكن بحسب عندها في ذلك المهد

كثرت الروائح الفاسدة التي يستنشقها الانسان وثار الغبار الذي يعمى ويصم بواسطة الارياح والزوابع التي تهب من ناحية البحر وخيم الضباب فوق الماء واليابسة خول نور النهار ظلاماً داماً فصار يظن المرء ان جيث الموتى تحرك سائره منا او انها تحملت الى ذرات دقيقة وامتزجت بكل شيء ، حوانا وان دماءهم تبخّرت وامتزجت بالهواء ثم تكاففت وسقطت علينا كالاطل والنداه وعليه فلم يمض زمان حتى فني كثيرون من سكان هذه المدينة العظيمة (اي الاسكندرية) وصار الفتاء يتدرج من اطفال الرضع الى الشيوخ الذين وقفوا على حافة الابدية قبل الان وعم القوى والضعف فلم يبق ولم يذر . وقد ترى هؤلاء القساوة العتاة يشاهدون الجنس الادمى يفنى ويضمحل وينظرون اخوانهم في الانسانية يختى فيهم الملائكة تمثيل الناري الهشيم لكثره عوامل التدمير والخراب التي شيدتها ايديهم ولكن عواطفهم لا تحس ولا تشعر لأن قلوبهم قدت من صخر صدء

وقد ورد ذكر هذا الحصار والدمار في الرسالة^(١) التي كانت يكتبها ديوينيسوس لتلي في عيد الفصح كما كانت العادة في تلك الايام .

(١) ان رسالة عبد المفعع هذه كانت عبارة عن تبة عمومية يصدرها بابا الاسكندرية قبل العيد بقليل وترسل لجميع الكنائس المسيحية عموماً والمصرية خصوصاً في اليوم الذي يقع فيه عيد القيمة من كل سنة . وكان هذه الرسائل اهتماماً عظيماً حتى عند غير المسيحيين لما تضمنته من الحساب الفلكي الدقيق الذي جرى عليه الم Crosbyون القدماء بالضبط ولذلك عهد بكتابتها الى بطريق الكتبة القبطية المصرية وحدهم لعلمه بهذا الحساب التاريخي علماً تاماً . وكانت فاتحة هذه الرسائل موعظة بلغة قبراء في الكتبة جواراً

اما تاريخ هذه الرسالة التي نحن بصددها فكان سنة ٢٦٤ ب.م وهو

وان نعم فيه ام المخلصات الدينية ولم ترك حفلا ولا مذكرة ولا سفينة
ولا خاتما ولا سجنا الا وعملنا فيه جمعية يذكر فيها اسم رب وينادي
بكلماته جهاراً . امام الاعياد واكثرها مجلبة للفرج والسرور فهو العيد
الذي يحتفل به جماعة الشهداء الابرار الان في السماء حيث يرأس
حفلهم رب يسوع نفسه حيث لا الم ولا اتم ولا جوع ولا شيء
من مصائب هذه الحياة وبالاياها
وقد اعقب هذه النكبات حرب تلاها جوع وسغب اصابنا نحن
والوثنيين على الــوا، ولكن الضرر الاكثر لحق بالفقراء المساكين الذين
اثر علينا حالم تأثيراً شديداً فكنا نواسهم ونشاطر كل من انتابته مصيبة
في بلايه ورنى لامرهم ونطوف عليهم عطفاً يتبادر من قلوب رقيقة
واحساسات مسيحية شريفة تأثر المصاب ببني البشر الذين هم اخوتنا في
الانسانية . تم جاءت بعد كل هذه هدنة قصيرة منها لانا رب يسوع
المسيح تعمتنا فيها بشيء من الراحة والفرح ولم تلبث طويلا على هذه الحالة
حتى دهنا وباء فتك مسنا مساً ولكنه فتك بالوثنيين فتكا ذريعاً
فلا قدم لهذا الداء الوبيل بخيله ورجله ظهرت احساسات الاخوة
المسيحيين نحو القوم المصابين وبانت نواياهم الحسنة وعواطفهم الحية مع
كل مريض مدنف حتى انهم لم يخشوا شر الداء ولم يخافوا على انفسهم
نزال نعيد العيد بكل احتفاء واحتفال . وكلما كان اضطر ادنا شديداً كلما
كان عيناً بيضاء ومرؤة عليه وهي اعمال كانت تفني في هذه الايام السوداء كما

ان الوقت الحاضر اصبح كغيره في الاوقات الغارقة اذ يمسر فيه
على الكثيرين من المسيحيين اذ يؤدوا فريضة عيد الفصح وسيان عندهنا
اوقات الحزن والغم وال أيام الفرح والسرور التي لا يكاد يراها احد ولو في
المام لكثره تواي المصائب وتتابع النكبات حتى اصبح الانسان لا يتع
نظره الا على عيون تدمى وقلوب تتفجع واماقي تسيل على الحدود بدل
الدموع السخين الذي تنسق له الاعين حزناً على اناس اتقياء كثيرين
ما توافقوا درجوا الى العالم الباقي . واذا مررت الان في المدينة لسمت
النهدات والزفرات يكاد القلب يتقططر معها اسفاقاً على اقوام مشرفين على
الهلاك ينظرون ابواب القبور مفتوحة امامهم تكاد تتبعهم قبلما تفارق
ارواحهم الاجساد حتى اصبحنا في زمان اشبه بالزمان الذي مات فيه كل
بكر في ارض مصر على يد موسى فلم يخل بيت من البكاء والموبل لانه
يوجد ميت على الاقل في كل منزل . وكنت اتنى لو ان يكون هذا كل
البلاد ويفقد المصاب عند هذا الحد مع ما يبيقه من اهوال تشيب لها
الواصي وتصطاك منها الركب بل زادوا في اتهم طردونا طرداً واقصونا
الى اماكن بعيدة ثم اخذوا يضطهدوننا حتى اما توافقنا اكتئنا وعم ذلك فلا
نزل نعيد العيد بكل احتفاء واحتفال . وكلما كان اضطر ادنا شديداً كلما
كان عيناً بيضاء وكان المكان الذي نذوق فيه اشد العذابات لابد

يفيء مصباح لامع في حalk الظلام وديجوره فكانوا يداوون المرض بالادوية الروحية او لا حتى اذا فارقو هذه الحياة الدنيا انطلقوا الى الابدية وفي قلوبهم رجاء لا يفني بالحياة الآتية . وكان كثيرون من هؤلاء الاخوة الذين يخدمون المرضى يموتون معهم بعد ان يصابوا ببعض امراضهم . نعم كانوا يموتون فرحين مسرورين لموت هورقاد موقف تعقبه حياة ابدية سعيدة . وكانت العدوى تنتقل من المصاب الى الصحيح لأن هذا كان يستخرج مصل الداء من ذلك بواسطة مصبه (١) فكان لهم كانوا يحملون اعباء الامراض من على اعناق الاخرين ولذلك مات الكثير من المسيحيين فداء لاخوانهم المرضى وهو عمل يظهر منه الفرق الكبير بين المسيحي الحقيقي الذي يضع نفسه عن الاخرين كما فعل سيده قبله وبين اولئك الذين يظهرون انفسهم في مظهر الحب والخلاصين بواسطة احساس غير حساس بذاته وتحيات فارغة ومودة عقيمة ولكن اذا جاء وقت الشدة فزعوا من اصدقائهم وابتعدوا عنهم او قدموا لهم قربانا لاغراضهم اذا كان في تقدمهم ما يجلب بعض النفع او يزيل شيئاً من الضرد . وفي زمن هذا الوباء انتقل الكثيرون من خيرة الاخوة

(١) هذا يدل على ان عملية ا يصل الهواء الى الرئتين في حالة مرض الدفيء كانت معروفة عند المصريين في ذلك الوقت . اما عرضهم من مصل فهو تعليم فنا الهواء (او قصة الرنة) حتى يسئل صدور الهواء فيها فلا يختنق المصاب وهي ذات الطريقة المستعملة في ايامنا الحاضرة . ولا ريب في أنها عملية خطيرة مات فيها كثيرون من الاطباء الانكليز

وافتراض الامة وذهبوا الى الدار الباافية شهادة الخدمة المسيحية وكان فيهم القوس ومشائخ الكنيسة وشمامستها وغيرهم من الشعب الذين اشتروا بحسن السيرة وطيب السمعة فالملاوت بهذه الكيفية وما اقترف به من شفقة عميقة واعيان حار وغيره نقوية ومحبة مخلصة لا يقل في الاهمية عن الا-تشهاد الذي يحدث في زمن الاضطرادات . والذين يموتون بالطريقة المار ذكرها كانوا يكرمون ويحتفل بموتهم احتفالا باهراً اذ كانوا يحملون على الاكف ويوضعون فوق الرؤوس بعد ان تنطف عيونهم وتكتفى كل دمعة ذرفت منها ساعة الحشرجة وتغلق افواهم ويكفونهم باحسن الاكفان واثنها ومن ثم يدفنونهم باجلال واحرام وهذا يوسع الواحد منهم اخاه وبعود فلا يلبث طويلا حتى يودعه غيره على الطريقة التي اتبعها هو مع سابقه . اما الوثنيون فكانوا على الصد من ذلك ولا عجب في هذا ولا غرابة ما دامت الاحسات المسيحية والعواطف القوية لم تجده لها طريقا للقلب ولم تتمل فيه عمل المعرفة فكان اولئك الوثنيون عند ما يشعرون بان احدهم مريض يتبعون عنه ويتناوحون حتى عن اعز اصدقائهم ومحبهم وقد بلغت بهم القساوة مبلغا عظيمآ حتى كانوا يطرحون مرضاهم في الازقة والشوارع وهم بين حي وميت فاذا فارق المريض هذه الدار رموابه في عرض الفلاء دون ان يواروه التراب ومن غير ان تظهر على سماهم ادنى المظاهر التي تدل على التأثير والاحساس ولو احتاطت بهم كل الموافل المؤثرة الفعالة »

وقد تلطقت مصائب هذا الحصار كثيراً وخف بعض الشيء من
بلاية المريعة وذلك بواسطة سلوك الكهنة المسيحيين سلوكاً يحمد ويعدح
شخص منهن بالذكر يوساب واناطوليس اللذان تعاقبا بذلك على اسفافية
لاودكية . وقد قال يوسفوس المؤرخ في عرض كلامه عن اناطوليس
مانبه :-

«قد اسند الكثيرون أكثر الاعمال الخطيرة التي تمت أثناء حصار
بروخيوم (جزء من الاسكندرية) إلى اناطوليس وذلك لأن جميع
الموظنين على اختلاف درجاتهم كانوا يجلونه ويحترمونه احتراماً زائداً وهو
قول لا يتحمل الشك او الريب واليك مثال على صحة ذلك . لما نفذ الراد
في أيام الحصار وندر وجود الخبز في المدينة لدرجة رضي فيها الناس ان
يساموا أنفسهم لاغدائهم الأدميين من ان يسقطوا بين بران عدو قاس

هو الجوع خطر على بال اناطوليس فكر حميد رأى الخير كله في اتفاذه
وتفصيل ذلك ان نصف المدينة الثاني كان على وداد تام مع الرومان
ولذلك لم يتم عليهم حصار ولم ينصب نحوه متراس فلذلك ارسل اناطوليس
إلى يوساب الذي كان مقيناً في الجزء الغير المحاصر (وكان يوساب حينئذ
موجوداً في الاسكندرية قبل ان يذهب إلى سوريا وسام اسفافاً في
لاودكية ذات الصيت نافذ الكلمة حتى عند قائد الجيوش الرومانية)
وأخبره أنهم اوشكوا على التلف من جرى الجوع والسبب . فلما سمع

يوساب هذا الخبر التمس من القائد الروماني ان يمنع الامان لجميع الذين
القبض على اميليانوس وقتلها فاستراحت هذه البلاد الاسبانية من هول

الطعن والضرب ولكنها لم تسترح من بلايا الطاعون الذي كان لا يزال يفتاك في أهلها فتكاً شديداً . أما البطريرك فكان لم يزل مشغلاً جيئه بالباحثات والتآليف وقد أتهم البطريرك ديونيسيوس بعاثتهم به غيره من الميل إلى المهرطقة والجنوح إلى البدع وهي هممة أصابت أكثر أعلام رجال الكنيسة المسيحية واقيالها سواء في حياتهم أو بعد موتهم سواء حق أو بغير حق . وكان من حسن حظ ديونيسيوس أن التهمة وجهت إليه وهو بعد على قيد الحياة ولذلك قدر على دحضها وبرهنة نفسه بطريقة دلت على مقدرته في استخراج الحجج القوية والضاغعه رئيس البطاركة وكبير الباباوات في العالم كله . وقد استاء بعض من شعبه منه لعبارات قاسية وردت له في جواب أرسله إلى أساقفة مقاطعة بنتابوليس قصد منه التوفيق بينهم في مسائل اختلفوا عليها وایتفاف سير بدعة جديدة كانت على وشك الظهور . أما أهل هذه المقاطعة فأتوا أمراً مغاييرآ للحصول بالمرة اذ عوضاً عن ان يردوا على بطريركهم ويجادلوه بالي هي أحسن اغراهم بعض الدخلاء من الرومانين وحرضوهم على الشر والشقاق فكتبوا الى ديونيسيوس أسقف رومية كتاباً فيه يرمون بطريركهم بالهرطقة والبدعة وكان هذا الأسقف مادس أسقف جلس على الكرسي الروماني أثناء جلوس البطريرك ديونيسيوس على

الاريكة القبطية ولذلك كان صاحبنا الروماني شيئاً في مقبل عمره قليل الخبرة ضيق المعرفة بالنسبة إلى البطريرك المصري الذي كان لا يساويه أحد في العلم والأخبار الكثير . فسار ديونيسيوس الروماني سير الاعتساف وارتكب متن الشطط في أنه شكل مجتمعاً وقنياً وحكم فيه بالحرمان على دينيشيوس الأسكندرى وكتب إليه يعلمه بنتيجة هذا الحكم ويسأله عما إذا كان لديه شيء يقوله دفاعاً عن نفسه مما عده بآيا الأسكندرية هذا اهانة وافتراء إلا أن نقواه وتنككه بعرى الديانة المسيحية منعاه عن مقابلة الشر بالشر وعواضاً عن أن يقابل شعب تلك الابرشية التمرد بما يستحقه من اللوم والسطح وبدلأ من أن يحقر ما كتبه له زميله الروماني ويضرب به عرض الحائط لما فيه من القحة والبذاءة . عمداً إلى قلمه وكتب ردآ تأويلاً كان آية في البلاغة وحسن البيان شرح فيه كيف أن اعداءه أبدلوا كلاماته وحولوها عن معناها الأصلي بقلب مبناتها لغاية في الفس حتى صارت تؤول تأويلاً يغادر الحقيقة ثم قال انه تحب البحث في مسألة « الاتتحالة » ولم يذكر شيئاً عنها لأنه لم يقف لها على اصل في الكتاب المقدس وإن الذي يراجع كلامه الأصلي يقتنع بصححة ما كتبه لأنه يجد أنه غير محرف أو مبدل وأنه يأسف لعدم إمكانه ارسال نسخة منه إلى ديونيسيوس الروماني بواسطة حكمة ديونيسيوس الأسكندرى ورصانته خمنت سورة شفاق كان يمكن أن يستفحل أمره فيضر بالكنيسة ضرراً بليغاً كما أن

هذا الاعتدال زاد اعتبار هذا البطريرك الحكيم في أعين الناس عن ذي قبل وأوجده مهابة كبرى في النفوس وحدث انه في آخر سني حياة ديوينثيوس هذا دعاه مجمع انطاكيه لحضور احدى جلساته حيث حكم بمحرمان بواس من ساموساتا (ولا حاجة بنا للشرح حكاياته هنا لدم اهيتها) ولكن ديوينثيوس لم يحضر هذا المجمع متذرًا بضعفه وكبر سنه فكتب لهم رأيه في هذا الشأن وارسله اليهم . وقبل ان يبت المجمع المذكور حكمها في قضية بواس هذا نام ذلك البطريرك العظيم في الرب واستراح من اتعاب جمة ودخل الى فرح سيده لانه كان اميناً في القليل فاقامه على الكثير فطوبى له

الفصل العاشر

باد آمون ومار انطونيوس . سنة ٢٦٨ ب . م في سنة ٢٦٨ ب . م ورد غالينوس الامبراطور حفه في ميلان (إيطاليا) في حرب عوان مع خصم آخر كان يطالب بسرير الملك . وبعد موته حدث الالتباس المتاد حدوثه عمن يخلفه فتشاء عن ذلك اضطراب جديد جرى شراؤ على مصر الشقيقة وانتهى الامر أخيراً بان رقي كلوديوس العرش الامبراطوري في اوروبا وأصبح اسمه يسبك على التقدمة لمدة ثلاث سنين ولكنه لم يحكم مصر الا بالاسم فقط لان المصريين اعتادوا عدم الخضوع لاي سلطة أجنبية بطريق خاطر الا ان يكون لليونان وعليه يتحمل انهم يكونون قد التجأوا الى زينب (أوزنوبايا) مملكة تدمر وأرملة

أوديتوس وهي الملكة التي جعلها الفنان وشهرتها الواسعة ابقيا ذكرها للملكة تدمر (التي يسمى بها الاقرنيخ بالميرا أو مملكة النخل) وطلبوها انها تستولى على مصر وتضمها تحت لوائها . وكانت هذه الملكة تزعم انها سليلة كليوبترا الشهيرة ولذلك رأت ان لها حقاً لأن تملك مملكة آباءها ودما اشتهرت به هذه الملكة ان مجلسها كان يضم كثيرين من العلماء وفطاحل الرجال الذين رضوا وأفوا بق العلوم في مدارس الاسكندرية المعروفة وكان اعظم هؤلاء الافضل شهرة العالمة لونجينوس . أما كون زينب من سلالة كليوبترا المصرية فغير صحيح بل يغلب على العطن انها رومانية الاصل اذ لا يوجد دليل على وجود صلة رحم بينها وبين كليوبترا كما كانت تزعم الا ان يكون تشابه الاثنين في الجمال الباهر والشجاعة الفائقة وفي آخر تهمها السوداء . ولما جاءت زينب لأخذ مصر امتلكت جيشها الاسكندرية اولاً ثم سار جنوباً في وادي النيل تخيم فوقه أعلام النصر ويرافقه الظفر في كل غزوته وهو تحت قيادة مصرى باسل اسمه تياجينس الذي سار في طليعة المحاربين . وبعد ان افتح هذا الجيش البلاد المصرية عاد راجعاً فالقى في طريقه بقائد روماني يقود جيشاً يقصد به مقاتلة ذلك الجيش الا ان خبرة تياجينس باحوال البلاد ومساكها ساعده في قهر عدوه وجعله يعود ناكصاً على اعتقامه راضاً من الغنيمة بالایاب ولم يدم حكم التدمر بين طويلاً في مصر لان اوريليانوس الروماني

حارب زينب وأخذها أسرية ودمر مدينة تدمر بعد حصار طويل . ولكن المصريين لم يخضعوا لحكم الرومان ولم يرضخوا لسلطتهم بدون جهاد وقتل إذ يؤخذ من بعض الصادر أن ملوك كانوا يتنازعون السلطة في مصر عند ملك أوريليانوس لها وقد قاوماه كثيراً وكانت النتيجة أن مصر عادت تخدم للسيطرة الرومانية وسلمت زمامها لأوريليانوس الذي لم يعكر فيها طويلاً بل قفل راجعاً إلى رومية بعد أن عهد بادارة أمور مصر إلى وال قادر اسمه روبيوس

أما عن المسيحيين في مدة حكم زينب لمصر فقد عاشوا في صفاء ورفاء وأعطيت لهم الحرية الدينية التامة ولكنهم شاطروا باقي مواطنיהם في فلاقل الحروب الأهلية ومتاعها . وقد جلس على الكرسي البطريركي بعد ديوينيسيوس البطريرك مكسيموس الذي لا يُعرف عنه شيء سوى أنه اشتراك في الحكم الصادر على بولس الساموساتي الذي مر ذكره بكل أنه بدأ في مدة اثنان من مشاهير المصريين بان عاشوا أولاد عيشة الرهد والتنسك ثم أفرطا فيها كثيراً إلى ان تخطيئها إلى التبتل وإنكار الذات . أما هذان الراهبان فكانا مار أنطونيوس ومار آمون الذي لم يُشهر أمره كثيراً ولكنه كان محظياً كثيراً من غيره عند عارفه وهو المؤسس لدير النطرون (بالبحيرة) ولو أن القديس رومونيوس كان قد أخذ هذا الكان دار إقامة له قبل هذا العهد بخو جيل أما أنطونيوس فولد في بلدة تسمى «الكوم» في الصعيد من والدين

الجزء الصغير فوراً وترك أخته في عهدة امرأة مسيحية في بلده وزرع كل ما يمتلكه من حطام الدنيا على الفقراء والمعوزين وهام على وجهه وهو حامي الأقدام لا أنيس له ولا رفيق وعزم أن يعيش عيشة جهاد مع نفسه وأن يحارب جسده ويقمعه وينزع عنه كل خلة أو سجية تعيقنه الله وتخالف أوامره وهذا عمل أثاره أثاث كثيرون في كل الأعصر ظنةً منهم أنه يقربهم إلى الله جل جلاله . وبعد أن انتقل انطونيوس من مكان لآخر أوجد نفسه في صرح متهدم واقع على شاطئ النيل وامتنع عن النظر في وجده آدمي لأنها كان إلا أنه كان يحظى من وراء الحجاب ويخطب في جماعة رعاة القطعان الذين كانوا يحترمونه احتراماً نائحاً عن اعتقادات خرافية من نحوه وكانوا يتوفدون لسماع العبارات الجماشية التي كان يتفوه بها لهذا الزاهد المخنث ولكل منهم قلماً كانوا يفهمونها . وطالما جاءوا إليه بخبر من بلادهم كثير وبشيء ، وافر من الكعك المسطح (قرص) فكان يقيمه عند أشهراً طويلاً حتى تستحجر ولا تلين إلا بعد أن توضع وفناً غير قصير في الماء . ومن ثم يسهل مضغها وازدرادها كما يفعل الفلاح المصري اليوم في هذه الأيام . ولأنه عاش على هذه الصورة فقد عززت إليه أمور وأشاعات تجمعت فيها بعد وتكبرت حتى صارت خرافات لا يقبلها العقل وأصبح يتناقلها الآن كثيرون من ذوي المقول الضيق . ففي هذا المكان قضى انطونيوس عشرين عاماً بعيداً عن أعين الناس ولكن حيثه وشهرته ملأتا الآفاق

أمامارآمون فلا يعرف مسقط رأسه تماماً ولكنه لا يبعد كثيراً عن مدينة الإسكندرية . وهو كرميله انطونيوس ولد من أبوين موسرين ويتم منها وهو بعد يافع . ويُؤخذ من اسمه أنه مصرى فتح ومع أن كثيرين من المصر بين الأصحاب اطلقوا عليهم اسماء اليونانية وقت عمادهم الا أنه لم يكن يسمح ليوناني مسيحي أو للدخول أن يسمى ابنه باسم الله مصرى كآمون أو غيره . ولما دخل آمون دور الشبوية (غالباً بين سنتي ٢٦٥ - ٢٧٠ م.) دعى في عيشة الرهد ومال إلى الرهبنة إلا أن عمه وولي أمره رفضا طلبه هذا وأغريا به بضرورة عقد خطوبته على آنسة يدعى فانهادات متاع وعقار قد يمكن أن يوسع نروته بها . ويظهر من فرائين الاحوال أن آمون كان لا يزال إلى هذا الحين تحت رعاية عمه ولا يسعه الخروج من طاعته ولذلك شرع حيث ذكر في مخاطبة هذه الفتاة كما أمره عمه وكانت النتيجة أنه أوجد فيها الميل الذي عنده وزرع في فكرها الرغبة في عيشة الرهد وتكريس النفس ومن ثم اتفق الشاب والشابة على ما ذهاباً خيراً لهما وبقى . فتزوجا بعضهما على شرط اتفقا عليه سراً هو أن يعيشان معاً كاخ واخت لا كزوج وزوجة وقد ظلا على هذه الحالة عدة سنين وهما يحافظان على شروطها بعفة وامانة . وقد اختلف المؤرخون فيما إذا كان الاثنان قد عكفا على الرهد وذهبوا إلى الجبل حالاً بعد زواجهما أم لا ولكن الذي يقرب من الحقيقة على كلتا الحالتين أنها كانوا ينفقان على أنفسهما من مالهما الخصوصي وعاشا بسعة من إيراد

اما كهـا . وبعد ردهـه من الزـمن ظـن آمـون انهـ ليس فـي غـبـة تـامـة او انهـ لمـ يـسـطـعـ الزـوـبـةـ التيـ فـرـضـهاـ عـلـىـ نـفـسـهـ وـجـانـبـهـ وـاحـدـةـ منـ بـنـاتـ حـوـاءـ فـاـتـاذـنـ اـمـرـأـهـ هـذـهـ وـاـنـصـرـفـ إـلـىـ وـادـيـ النـطـرـوـنـ حـيـثـ اـقـنـىـ اـنـرـهـ جـمـ غـفـرـ منـ اـرـبـابـ الغـيـرـ وـاصـحـابـ الـمـيـلـ إـلـىـ هـذـاـ الـانـفـرـادـ وـمـعـهـمـ مـكـارـيوـسـ الشـيـرـ الـذـيـ نـالـ الشـهـرـةـ الـتـيـ كـانـتـ لـآـمـونـ رـئـيـسـهـ وـلـمـ تـعـضـ عـلـىـ هـذـاـ حـالـ ثـمـانـونـ حـوـلـاـتـيـ أـصـبـحـ وـادـيـ النـطـرـوـنـ يـحـتـويـ عـلـىـ نـحـوـ خـسـينـ دـيرـاـ اوـ زـيـدـ كـماـ ذـكـرـ ذـكـ روـفـينـوسـ فـيـ تـارـيخـهـ الـمـعـرـوفـ . وـلـمـ يـكـنـ كـلـ سـكـانـ وـادـيـ النـطـرـوـنـ فـيـ ذـكـ العـبـدـ مـنـ الـرـهـبـانـ وـالـنـسـاكـ بلـ انـ كـثـيرـينـ مـنـ عـامـةـ الشـعـبـ سـكـنـواـ قـبـلـهـ ذـكـ لـازـ السـهـولـ الـقـرـيبـةـ مـنـهـ لـمـ تـكـنـ جـدـبـاءـ يـالـرـةـ بلـ انـ بـحـيرـاتـ الـمـلحـ كـانـ تـحـيطـبـهـ كـاـنـ شـبـحـاـ هـنـالـكـ بلـ انـ الـذـيـ يـخـفـرـ آـيـارـاـ يـسـهـلـ عـلـىـ اـسـخـرـاجـ مـاءـ زـلـالـ يـشـرـبـ مـنـهـاـ وـيـرـوـيـ بـهـ اـرـضـاـ تـخـرـجـ بـنـائـاـ طـيـباـ . اـمـاـ آـمـونـ فـقـدـ اـسـتـهـلـ ماـ شـاهـدـهـ مـنـ رـسـوبـ النـطـرـوـنـ هـنـالـكـ وـفـكـرـ فـيـ اـبـجـادـ طـرـيقـةـ يـنـتـفـعـ بـهـاـ فـيـ تـشـغـيلـ الرـجـالـ الـذـينـ تـبـعـوـهـ فـيـ اـسـخـرـاجـهـ . وـلـمـ يـكـ طـوـيـلاـ حـتـىـ اـحـشـدـ كـثـيرـونـ مـنـ سـكـانـ مـدـنـ وـقـرـىـ الـرـيفـ الـتـيـ عـلـىـ مـسـافـةـ ٣٠ـ اوـ ٣٥ـ مـيـلـاـ مـنـ الـدـيرـ وـاـتـفـقـواـ جـمـاعـاتـ الـفـوـاقـوـافـ مـتـظـمـنةـ وـسـارـواـ لـجـئـواـ بـالـنـطـرـوـنـ الـذـيـ كـانـ يـسـخـرـجـ آـمـونـ وـرـجـالـهـ وـكـانـواـ يـبـعـونـهـ فـيـ اـسـواقـ مـصـرـ وـيـجـرـونـ بـهـ . وـحـدـثـ اـنـ شـابـاـ اـسـمـهـ مـكـارـيوـسـ سـارـ مـعـ قـافـلةـ

منـ هـاتـيـكـ الـفـوـافـلـ إـلـىـ وـادـيـ النـطـرـوـنـ فـلـمـ يـكـدـ يـلـقـيـ عـصـاـ التـرـحالـ حـتـىـ جـاـشـ صـدـرـهـ دـاخـلـهـ غـيـرـةـ مـنـهـ عـنـدـ مـاـ رـأـيـ جـمـاعـةـ الـنـسـاكـ وـاـزـهـادـ يـشـغـلـونـ شـغـلـاـ شـافـاـ فـيـ اـسـخـرـاجـ النـطـرـوـنـ . وـلـمـ يـكـنـ مـكـارـيوـسـ يـطـانـ اـنـهـ حـتـمـ عـلـيـهـ الـبـقاءـ مـعـ آـمـونـ وـرـفـاقـهـ اوـ اـنـ الزـهـدـ لـاـ يـتـمـ اـلـاـ بالـاتـحـاقـ بـهـمـ . فـاـنـهـ لـاـ رـأـيـ الـعـنـصـرـ الـعـالـمـانـيـ (ـ لـاـنـ اـتـبـاعـ آـمـونـ لـمـ يـكـوـنـواـ جـمـيعـهـمـ رـهـبـانـاـ)ـ مـتـغـلـبـاـ هـنـاكـ كـثـيرـاـ وـاـنـ الـتـجـارـةـ وـالـكـسـبـهـاـ الـفـرـضـ الـذـيـ يـرـمـيـ إـلـيـهـ الـقـومـ اـعـتـقـدـ اـنـ وـادـيـ النـطـرـوـنـ لـاـ يـنـاـبـ عـيـشـةـ الـوـحـدـةـ وـالـاعـتـزـالـ وـعـلـيـهـ تـرـكـ هـؤـلـاءـ اـجـمـاعـةـ الـمـهـمـكـيـنـ فـيـ اـعـمـالـهـمـ حـوـلـ بـحـيرـاتـ النـطـرـوـنـ وـاعـتـزـلـ مـكـانـاـ قـصـيـاـ يـبـعـدـ كـثـيرـاـ عـنـ هـذـاـ اـتـحـالـ حـيـثـ لـاـ تـوـجـدـ شـجـرـةـ اوـ نـحـلـةـ تـعـافـيـ،ـ حـرـقةـ حـاـجـرـةـ اوـ تـبـرـدـ لـقـىـ قـفـارـهـ . وـالـذـيـ يـلـقـيـ تـغـرـهـ عـلـىـ اـخـرـائـ الـفـرـنسـوـيـةـ يـمـجدـ الـوـادـيـ الـذـيـ كـانـ فـيـهـ آـمـونـ وـالـوـادـيـ الـذـيـ كـانـهـ مـكـارـيوـسـ وـاسـمـهـاـ سـيـتسـ وـنـطـرـيـاـ . مـرـسـومـيـنـ كـانـهـمـاـ وـادـ وـاـحـدـ وـاـحـمـيـةـ اـنـهـ يـوـجـدـ فـرـقـ وـاـضـحـ بـيـنـ الـاثـيـنـ وـتـبـاـيـنـ فـيـ الـاـرـتـفـاعـ بـيـنـهـمـاـ كـمـاـ اـوـضـحـ ذـكـ مـسـتـرـ هوـكـرـ (ـ مـدـيـرـ مـصـلـحـةـ الـمـصـلـحـ)ـ فـيـ خـرـيـطةـ لـهـ رـسـمـهـاـ سـنـةـ ٩٦ـ اـمـاـ الـوـادـيـ الـاـعـلـىـ الـذـيـ يـمـتدـ إـلـىـ اـجـنـوبـ الشـرـقـ فـلـمـ يـكـنـ لـهـ اـسـمـ يـعـرـفـ بـهـ عـنـدـ مـاـ اـسـتوـطـنـهـ مـكـارـيوـسـ وـلـكـنـهـ اـطـلـقـ عـلـهـ فـيـاـ بـعـدـ اـسـمـ «ـ سـيـتسـ »ـ وـمـعـنـاهـ مـوـضـعـ الـاـرـوـاحـ الـمـقـدـسـةـ وـسـبـبـ هـذـاـ اـسـمـ هـوـ اـنـ مـكـارـيوـسـ تـبـعـهـ كـثـيرـ مـنـ الـمـرـيـدـيـنـ كـمـاـ اـتـيـعـاـ آـمـونـ وـسـكـنـواـ فـيـ كـهـوفـ اـحـفـرـوـهـاـ لـاـنـفـسـهـمـ وـبـقـواـ عـلـىـ مـعـزـلـ مـنـ اـفـاـمـ وـادـيـ النـطـرـوـنـ

الفصل الحادي عشر
الجهاد في سيناء الحمراء - سنة ٢٨٢ بـ م
بعد ان قتل اورليانوس استولى تاسيطس على العرش الروماني في اوربا وظل جالساً عليه مدة قصيرة اما مصر فكانت حينئذ تحت سلطة ادملة اورليانوس التي جلت على سرير ملكها ثانية شهور . ولما ان مات تاسيطس انفق الجيش المحتل مصر على انتخاب القائد بروبوس الذي كان محبوباً من جيشه ومكرراً عنده . ولما استتب له الامر في مصر غادرها الى اوربا ليضع يده على ولاياتها ولويضم تحت لوائه كل المملكة الرومانية وفي أثناء غيابه انهزت بقية من التدمر بين - الذين قلنا انهم اخذوا مصر قبلًا - هذه الفرصة وسعوا لأخذ مصر العليا واغتصابها من يد بروبوس فاضطر هذا ان يعود فاولاً الى مصر ليرد عنها هذه الغارة الجديدة وليسن حرباً عوائلاً يفتح به مدينتي قبطس (او فقط) وبطولييس من جديد . ومع ان الحرب استمرت زمناً لا سجياً بين الطرفين الا ان بروبوس لم يكن ليغفل شؤون مصر والعمل على تحسين احوالها العمومية ومعاملة شعبها النحوس برفق وعدل بعد ان ذاق هذا الشعب اصناف البلاء والحيف مدة طويلة . وفي سنة ٢٨٢ بـ م هجم عساكر بروبوس عليه واخذوا حياته غيلة خلفه كاروس والي مصر وهذا ايضاً مات سنة ٢٨٣ في حرب اقام سوقها ضد الفرس ولكنها اوقفت عند موته وعبيده ابنه كارينوس ونومريانوس وبعد ان حكمَا سنة واحدة كلها حروب

وكانوا يستجذبون العاباً كثيرة للحصول على الماء لطول الشقة ولم تكن لهم حرفة يحترفون بها سوى صنع السلال والمقاطف التي كانوا يحصلون منها على ما يساعدهم في معيشتهم الصعبة التي كانوا يظنونها أحسن عيشة في العالم توجد بينهم وبين الله اتصالاً متيناً . في هذا المكان قضى ميكاربوس حياته التي كانت حكماً بينما كان آمن على مقربة منه يكدر ويُكدر مع جماعته في استخراج النطرون وكان يسمح لنفسه بالتطواف مرتين في السنة يصرف في كل مرّة ستة أيام يسير فيها عرض الصحراء والوجه البحري لينظر أمرأه ويسأل عن سلامتها . ولا ريب في أنه أتعب نفسه كثيراً واجهد ذاته اجهاضاً مفرطاً ليُكفر عما فرط منه من الاموال والتعاضي وفرض على نفسه فرضاً صعباً كان يؤديها في خلوته . وليس يصعب على الفطن أن يتصور ما كان يعنيه هذا الناسك من العنا ، وفاقت البال انتظاراً لا خبارَ رد إليه من الارياف أثناه هذه المدة الطويلة التي صرفها في الجبال من سنة ٣٢٢ - ٣٠٣ . ومات آمون هذا في سنة ٣٤٥ بينما كان يراقب على بعد الجماد العديم القائدية التي جاهدها مصر في سبيل تحرير بلادها من عبودية الرومان وانتقام ذلك الامبراطور منهم انتقاماً تشعر منه الابداً لأنهم جاهدوا في سبيل الحرية مع ان هذا الامبراطور كان قد ولد تحت رق العبودية والنيل

